

يُطبع أول مرة محققاً على نسخة فريدة



زَادِ سَفَرِ الْمُلُوكِ



تأليف الأستاذ

أبي منصور عبد الملك ابن محمد ابن إسماعيل الثعالبي النيسابوري رحمه الله عليه

في السفر ومدحه وصفته ومحاسن الأخلاق فيه

تحقيق

هلال علي بن ناجي

رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين (سابقاً)

عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

الحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق

المعجمات



Modern Book World

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

يطبع أول مرة محققاً على نسخة فريدة

زَادِ سَفَرِ الْمُلُوكِ

تأليف الأستاذ

أبي منصور عبد الملك ابن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري رحمة الله عليه
في السفر ومدحه وصفته ومحاسن الأخلاق فيه

تحقيق

هلال علي بن ناجي

رئيس اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين (سابقاً)

عضو مراسل بمجمع اللغة العربية بدمشق

الحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق

المعجمات

عالم الكتب الحديث

Modern Book World

أربد - الأردن

2011

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
2011 - 1432

رقم
عبد الرحمن (الخفري)
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2009/9/3895)

811.09

هلال بن ناجي

زاد سفر الملوك / أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي
النيسابوري، تحقيق: هلال بن ناجي. - إربد: عالم الكتب الحديث، 2009.

() ص

ر. إ.:: (2009/9/3895)

الواصفات: الأدب العربي // اتمنوعات الأدبية //

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية.
* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا
المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ردمك: ISBN 978-9957-70-299-1

Copyright ©

All rights reserved



عالم الكتب الحديث
Modern Book World

للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة- بجانب البنك الإسلامي

تلفون: (00962 - 27272272) خلوي: 079 /5264363 فاكس: 00962 - 27269909

صندوق البريد (3469) الرمزي البريدي (21110)

البريد الإلكتروني almalktob@yahoo.com

almalktob@hotmail.com

almalktob@gmail.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن - العبدلي - عمان - تلفون: 079 /5264363

مكتب بيروت

روضة الغدير - بناية بزي - هاتف: 00961 1 471357 فاكس: 00961 1 475905

فهرس المحتويات

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الصفحة	الموضوع
1	المصنف والكتاب
28	آثاره
33	وصف المخطوطة
35	خاتمة
37	النصُ المحقق
43	[1] مدح السفر
47	[2] الاغتراب والاضطراب لطلب الرزق والذكر
50	[3] العزمُ على السَّفَرِ وأخذ الأهبة له
52	[4] التفاؤل للمسافر والدعاء له
54	[5] الشوق على قرب العهد ويسير الفرقة
55	[6] سائر الأحاسن في الشوق
56	[7] ذم الفراق
58	[8] مدح الفراق
61	[9] التزام اللوم عند الفراق
62	[10] ذم السفر
63	[11] أدب السفر
67	[12] أمثال السفر
69	[13] أبيات التَّمَثُّلِ والمحاضرات في السفر وما يتعلَّق به
73	[14] تدبير المسافر

الصفحة	الموضوع
74	[15] دفعُ ضررِ المياه ورداءتها
76	[16] الاحتراس من الحرِّ وتلافي ضرره بالمسافر
78	[17] الاحتراس من السموم وعلاج ما يحدث من نكايته
79	[18] في تسكين العطش ودفع مضاره
81	[19] تدبير المسافر في البرد الشديد والثلج الكثير
83	[20] علاجُ مَنْ أصابهُ جمودٌ من البردِ
84	[21] حفظ الأطراف من البردِ
85	[22] علاجُ قمرٍ بالعين من كثرة النظر إلى الثلج
86	[23] علاج التعب والإعياء الشديد
87	[24] اختيار منازل العسكر
88	[25] تدبير راكب البحر
89	[26] نكت في ركوب البحر
91	[27] فقه السفر
93	[28] غزل السفر
95	[29] أحسن ما قيل في المفاوز وأحوال السفر وذكر السراب والجو والمطر
100	[30] إدامة السفر وكثرة القلب في البلاد وقطع الطريق الشاقة
103	[31] التعلل بتحسين الغربة
105	[32] دُم الغربة
107	[33] الحنين إلى الوطن

الصفحة	الموضوع
109	[34] ذِكْرُ الْآيَامِ السَّالِفَةِ
112	[35] إِهْدَاءُ السَّلَامِ
113	[36] الدِّعَاءُ بِتَيْسِيرِ اللِّقَاءِ
114	[37] لَطَائِفُ الْمَكَاتِبَاتِ بِالشَّعْرِ
118	[38] قُرْبُ اللِّقَاءِ وَوَشْكُ الْقُدُومِ
120	[39] ذِكْرُ الْقُدُومِ
124	[40] التَّهْنِائِي بِالْقُدُومِ
126	[41] التَّهْنِئَةُ بِالْحَجِّ
128	[42] الْآدَابُ فِي الْإِيَابِ
129	[43] زِيَارَةُ الْقَادِمِ وَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِ
130	[44] إِهْدَاءُ الْقَادِمِ مِنَ السَّفَرِ
132	[45] أَحَاسِنُ الشُّعْرَاءِ فِي الدِّعَاءِ لِلْمَسَافِرِ
136	[46] وَدَاعُ السَّادَةِ وَالرُّؤَسَاءِ
140	[47] وَدَاعُ الْأَخْوَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ
143	[48] ذِكْرُ التَّشْيِيعِ
144	[49] غَيْبَةُ الرُّؤَسَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْيَاءِ
149	[50] التَّلَاقِي بِالنَّفُوسِ مَعَ تَبَايُنِ الْجُسُومِ وَالتَّرَائِي بِالْقُلُوبِ دُونِ الْعَيُونِ
153	المصادر والمراجع

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بين يدي الكتاب

المصنف والكتاب:

دارت حياة أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي بين مدن سبع لم يعد لها إلى سواها، في الأعم الأرجح⁽¹⁾.

أولاهها: نيسابور وبها ولد سنة (350هـ) لأب كان يحترف تجارة جلود الثعالب فنُسب إليها، وهي مهنة مرموقة في المناطق الباردة، مثل نيسابور وما صاقبها.

وقد وهم من ظن أن الثعالبي كان يحترف هذه المهنة، والصواب أنها مهنة أبيه⁽²⁾.

كما وهم من ذهب إلى أنه ولد في أسرة ضعيفة الحال رقيقة⁽³⁾، فبين يدينا نص من شعره يؤكد أنه ورث عن أبيه وأمه ضياعاً عديدة لكنه أتلفها في الحوادث، وفي طلب العلم والأدب. قال⁽⁴⁾.

من كان ينفعه الأدب ويحلّه أعلى الرُتب
فلقد خسرتُ عليه ما ورُئتُ من أم وأب

(1) انظر: ترجمة الثعالبي في المصادر التالية: دمية القصر وعصرة أهل العصر، 2/226. زهر الآداب، ص 127، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الرابع، المجلد الثاني، ص 560-583، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص 349، وفيات الأعيان، 2/350، العبر في خبر من غير، 3/172.

(2) نشر النظم، ص 6.

(3) الثعالبي ناقد أديباً، ص 22.

(4) اللطائف والظرائف، ص 27.

كم ضيعة كانت تصو
 أنلفتها لا في القيا
 بل في الحوادث والجوا
 كم قلت لما بعثها
 ضاعت دجاجتنا التي
 ن الوجه عن دُلّ الطلّب
 ن، ولا هوى بنت العنب
 نوح والشوائب والتوب
 وحصلت في أسر الكرب
 كانت تبيض لنا الذهب

الثعالي إذن ولد في أسرة موسرة، وورث عنها المال والضياع
 العامرة، لكنه أضاع كثيراً مما يملك في مطالب الحياة التي ذكرها ونوبها،
 ومركز أسرته الرفيع هذا يسّر له الولوج في مجتمع السراة والحاكمين فيما
 بعد.

ولقد حرص أبوه على تأديبه منذ الصغر في كتابات نيسابور،
 فكان من بين مؤدبيه في أيام صباه، رجل أديب حبّب إليه الأدب والشعر،
 فمما انشده هذا المؤدب لتلميذه في ذم الكتب والدفاتر وامتداح الحفظ،
 والحض على استيعاب العلم في الصدور:

صاحب الكتب تراه أبداً
 كلما فاتشته عن علمه
 في كراريس جياذ أحكمت
 فإذا قلت له هات إذن
 غير ذي فهم ولكن ذا غلط
 قال علمي يا خليلي في سَفَطُ
 ويخط أي خط أي خط
 حك لحَيِّهِ جميعاً وامتخط⁽¹⁾

(1) نزهة الألباء، ص 365.

ولقد حُبَّ إليه الأدب والعلم أيضاً شيخان جليلان من شيوخه
هما: أبو بكر الخوارزمي الشاعر النائر⁽¹⁾، وأحمد الخطابي العالم
المصنف⁽²⁾.

احترف الثعالبي في مطلع حياته مهنة تأديب الصبيان، لكن ارتفاع
محلّه عن هذه المهنة، وعمق ثقافته وذكاءه ومطامحه وشغفه بالتصنيف منذ
صباه الباكر والذي يعزز قوله:

اسمع فديتك حِلْفَةً مبرورةً من خِلْكَ المشغوفِ بالتصنيف⁽³⁾

كل ذلك مهد له الطريق إلى مجالس الملوك والأمراء والوزراء
وصدور عصره، فخدمهم بكتبه عن طريق إهدائها إليهم، فترسخت
مكانته، وتوثقت صلاته بعلية القوم، فكان ذلك سبيلاً لارتقاء حاله،
ورسوخ منزلته الاجتماعية بعد أن تبوأ منزلة كبرى في ميدان التصنيف
الأدبي جعلت ابن بسام يصفه بأنه: "راعي تلعات العلم وجامع أشتات
النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم أقرانه، سار
ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق
والمغارب طلوع النجم في الغياهب".

وكانت نيسابور في زمنه مدينة عظيمة، ذات فضائل جسيمة،
فهي معدن الفضلاء ومنبع العلماء - على ما قال ياقوت⁽⁴⁾ -، فدفعه

(1) نزهة الألباء، ص 265.

(2) معجم الأدباء، 4/ 251.

(3) مرآة المروءات، ص 24.

(4) معجم البلدان، 4/ 857.

هذا إلى توثيق صلاته بالعلماء والأدباء الذين كانت تزخر بهم نيسابور وتفخر أمثال أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي الذي كان أميراً وشاعراً ومصنفاً، وأبي الفتح علي بن محمد البستي الشاعر الكبير، وأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتيبي الأديب المؤرخ، وأبي نصر سهل بن المرزبان وسواهم كثيرون.

كانت نيسابور منذ عهد الأمراء الطاهريين عاصمة لإقليم خراسان، وكانت حدود هذا الإقليم تمتد لتشمل جميع المرتفعات فيما وراء هراة، التي هي اليوم القسم الشمالي الغربي من أفغانستان، كما كانت تشمل البلاد الواقعة في أعالي نهر جيحون من ناحية البامير، إضافة إلى القسم الشرقي من إيران الحالية، وكان يقال لنيسابور: أبرشهر، ومعناه مدينة الغيم بالفارسية⁽¹⁾. ولم يكن في كل إقليم خراسان، على ما ذكر ابن حوقل، مدينة أصحّ هواء وأفسح فضاء وأشدّ عمارة من نيسابور، وتجارها أهل ثراء، وتؤمها السابلة والقوافل في كل يوم، وتصدر أصناف ثياب القطن والإبريسم إلى سائر البلدان⁽²⁾.

قال المقدسي⁽³⁾: وفي نيسابور اثنتان وأربعون محلة، منها ما يكون مثل نصف شيراز، ودروبها المؤدية إلى أبواب المدينة زهاء الخمسين، ومسجدها الجامع أربع رحبات، بناه عمرو الصفار، وللجامع أحد عشر باباً بها أعمدة رخام. قال ياقوت: وهي كثيرة الفواكه والخيرات وبها ريباس ليس في الدنيا مثله⁽⁴⁾.

(1) بلدان الخلافة الشرقية، ص 423-424.

(2) صورة الأرض: ابن حوقل، ص 310-312.

(3) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 314-316، 329.

(4) معجم البلدان، 4/ 857-858.

وفي أطراف نيسابور كانت تقوم قرية بشتقان التي ينحدر منها واد يقال له: سغاور هو نهر نيسابور، وعلى هذا النهر، الذي كان يدير سبعين رحى، كانت لكل دار في المدينة قناة تأخذ ماءها منه، وكانت هذه القنوات تجري تحت الأرض، وعلى هذا الوادي والقنوات قوام وحَفَظَة. وعمق بعض القنى تحت الأرض ربما بلغ مئة درجة، وهذه القنى، إذا ما جاوزت المدينة ظهرت على وجه الأرض فتسقي المزارع والبساتين⁽¹⁾. بشتقان هذه كانت أجمل متنزهات نيسابور، ويبدو أن الثعالي كان يرتادها كثيراً أيام عيشه في مدينته، وإلى ذلك أشار في قوله⁽²⁾:

وراحتُ بِجَنَاتِ النِّعَمِ تُشَبِّهُ	ولما نزلنا بشتقان التي غَدَتُ
ربيعية حازت مدى الحسن كُلهُ	وقد برزت أشجارها في ملابسٍ
وواجهنا وردَّ يشوق موجَّه	وعارضنا ماءً يرقّ مصنَدَلُ
وفي الأرض إبريق المدام يقهقه	وقهقه رعدٌ في السماء مجلجلُ
يجابوه في حلقه مزهر له	وغنى مُغْنَى العندليب كائما

ولقد نهل أبو منصور من لذائذ العيش ما سمح به عمره وزمنه، وخلف لنا أنموذجات كثيرة من شعر الغزل والخمرة، وليس يخفى أنه أمضى عهد صباه وشبابه في نيسابور وهي إحدى جنان الدنيا، وربما كانت أبياته التالية خير أنموذج لشعر اللهو الذي كتبه في صباه:

هذه ليلةٌ لها بهجةٌ الطاء
ووس حُسناً ولونُها للثُغَدافِ

(1) بلدان الخلافة الشرقية، ص 425.

(2) من غاب عنه المطرب، ص 238 (المطبوع ضمن كتاب التحفة البهية، الأستانة، 1302هـ).

ناه حَظّاً من السرور الشافي
وحبيب وافٍ وسَعْدٍ مُوافٍ⁽¹⁾

رَقَدَ الدهرُ فانتبهنا وسارق
بُدام صافٍ وخِلٌ مُصافٍ

وقوله⁽²⁾:

والعيشُ بين السُّراري
مع امتلاك الجوّاري
وقد ملكتُ اختياري
أجني بغير اعتذارٍ
وزنُّدُ أنسي وارٍ

سقيا لدهر سروري
إذ طَيرُ سعدي جوارٍ
أيامُ عيشي كعُودي
أجري بغير عذارٍ
وغَيمٌ لهوي مطيرٌ

غير أنّ هذه الفترة لم تطل، فقد جاءه النذير في نجوم شيب لاحت
بعارضه، فقال مخاطباً نفسه⁽³⁾:

وأنصِرْ طُرُقَ أصحاب الرشادِ
وشيبُ المرء عنوانُ الفسادِ

أبا منصورِ المغرورِ أقصِرْ
ألستَ ترى نجومَ الشيبِ لاحتْ

وقال من أخرى⁽⁴⁾:

فقبول عذرك في التصابي مُغَوِّزٌ

هذا عذارك بالمشيب مُطَرِّزٌ

(1) خاص الخاص، ص 236.

(2) من غاب عنه المطرب، ص 268-269.

(3) أحسن ما سمعت، ص 145.

(4) المبهج، ص 38.

ولقد علمتُ وما علمت توهُماً أن المشيب بهُذِمَ عمركَ يرمزُ

نبغ الثعالبي في ظل دولة السامانيين - وكانت الحركة الثقافية مزدهرة في أيامهم - وقد دفعته مطامحه إلى التوجه إلى عاصمتهم بخارى قبل عام (382هـ) - وكانت ملتقى الأدباء والمثقفين - لكن الأعاصير كانت تعصف بحكم الأمير نوح بن منصور الساماني، حيث استطاع ملك الترك بغراخان أيلك احتلال بخارى عام (383هـ)⁽¹⁾، فكان ذلك بداية النهاية لسقوط دولة السامانيين التي انتهت عام (395هـ)، حين سيطر الغزنويون على إقليم خراسان كله وعاصمته نيسابور، وكان سقوط بخارى مدعاة عودة الثعالبي إلى مسقط رأسه، دون أن يحقق شيئاً من مطامحه⁽²⁾، إذا استثنينا ما أفاده من صلات بأدباء بخارى وعلمائها⁽³⁾. بخارى إذن كانت ثانية المدن التي دارت فيها حياة أبي منصور.

وعند عودة الثعالبي إلى نيسابور أتاح له القدر الالتقاء ببدیع الزمان الهمداني فوطد صلته به وأفاد منه⁽⁴⁾، كما عمق علاقته بكل من الميكالي والبستي⁽⁵⁾.

ولقد كانت لدى الثعالبي ضيعة - بأطراف نيسابور - يستعين بغلاتها على مواجهة مطالب الحياة، وقد تركت هذه الضيعة ميسمها على إشعار الثعالبي وأدبه في غير ما موضع.

(1) الكامل في التاريخ، 95/9، 99.

(2) يتيمة الدهر، 172/4.

(3) يتيمة الدهر، 172/4، 101/4، 84/4، 157/4.

(4) يتيمة الدهر، 256/4.

(5) يتيمة الدهر، 302/4.

فهو يشكر أحد أصدقائه على سقيه كرمًا له⁽¹⁾:

يا بَذَرَ صدرِ بنيسابورَ مَطلَعُهُ وبجرَ جودٍ لأهلِ الفضلِ مَترَعُهُ
سَقِيتَ كَرَمِي ماءً فيه أَرَبَعَةٌ من المِياهِ وخيرُ الماءِ أَنْفَعُهُ
ماءُ الحِياةِ وماءُ الوجهِ يَشْفَعُهُ ماءُ الشَّبابِ وماءُ الوَرْدِ يَتَّبَعُهُ

وهو يتطلع إلى غلات الضياع تطلع الخبير العارف⁽²⁾:

1- إذا ما نفل الدهقان غلات الرساتيق 2- فكم من نعمة بيضاء في سود الجواليق
3- وكم من سمّة صفراء في حمر البساتيق 4- وكم من قهوة حمراء في بيض الدواريق

وهو ينعم الطرف بكروم ضيعته فيقول⁽³⁾:

أكرم بكرم إذا أسلّفت مغرسه الماء القراح قضاك الراح في العنب
وظلّ يثمر في ظلّ العريش لنا أم السرور وظرف اللهو واللعب

وهو يرى أن جمال معيشة الزارع يكمن في الإبل التي تدمن
الحركة في نقل المحاصيل⁽⁴⁾:

جَمالُ معيشةِ الثاني جَمالُ تُدمِنُ الحركَةُ
إذا بركت بباب الدار أَلقت رحلها البركة

(1) خاص الخاص، ص 239.

(2) مخطوطة التوفيق للتطبيق الورقة 37.

(3) مخطوطة روح الروح الورقة 115.

(4) التمثيل والمحاضرة، ص 169، والثاني: الزارع.

غير أن أحوال ضيعته كانت في اختلال، وحين وردته رقعة وكيل
له بالضيغة قال⁽¹⁾:

يا رقعة طويت على حَيَاتِ	وعقارب كَدَّرْنَ ماءَ حَيَاتِي
ما أنتَ إلا من تباريحِ الجوى	وسفاتج الأحزان والحسرات
وكانَ أحرفُك الكريهة أغينُ	لرواقب، أو ألسُنُ لوشاة
وكذا الضياعُ رقاعُ رَقَمَتِها إذا	وافت أتتُ بحوادثِ الآفات

إن اختلال أحوال هذه الضيغة أثقل كاهل صاحبنا فمن ديوان
انقضت ظهره إلى جور جيران تلك الضيغة، فدفعه هذا إلى مرّ الشكوى
حتى قال⁽²⁾:

ثلاثٌ قد مُنيت بها فأضحت	لنارِ القلبِ مِنِّي كالأنثافي
ديونٌ أنقضتْ ظهري وجورُ	من الجيرانِ شابَ له غدافي
وفقدانُ الكفافِ، وأيُّ عيش	لمن يُمنى بفقدانِ الكفافِ؟

ذاك ما كان من أمر الصنعة، التي سنعود إلى الحديث عنها في
فقرة لاحقة.

وإذا كانت عودة الثعالي - صفر اليدين - من بخارى عام
(383هـ)، حافزاً على الإنصراف إلى تأليف يتيمة الدهر في العام التالي،
وهو كتاب سحر العقول، وأعجب الملوك، وفتن قلوب الرعية، وكان
منطلقاً لسطوح نجمه، وذيوخ صيته، وترامي إشعاعه، ومن هنا طارت
شهرته في الآفاق، وانفتحت أمامه أبواب البلاطات.

(1) مجموع شعره، المقطعة 38، والمنشور بالمورد.

(2) برد الأكباد في الأعداد، ص 124-125، ومجموع شعره المقطعة 130.

جرجان إقليم يمتد إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين، ويضم في الأغلب السهول العريضة والأودية التي يسقيها نهرا جرجان وانزك، فهو إقليم وافر المياه كثير الأشجار من عنب وزيتون وتين، ونهرا جرجان وأنزك عميقان لا يكادان يعبران، وكلاهما يصبّ في بحر قزوين.

وعاصمة الإقليم قسبة جرجان: وكانت مدينة حسنة أيام الثعالي تقع على جانبي نهر جرجان وتربط بينهما قنطرة، اسم الجانب الشرقي منها شهرستان، واسم الغربي بكر أباد، تكثر في بساتينها الفواكه ويعمل بها الإبريسم، وحرها شديد، وحشرات مؤذية، وفرضة جرجان على بحر قزوين، مدينة أبسكون⁽¹⁾، وكان يملك إقليم جرجان في القرن الرابع الهجري، بنو زيار، وهم منها، وقد امتد سلطانهم إلى طبرستان والنواحي المجاورة، وكان قابوس بن وشمكير أميراً على جرجان، وقد استطاع البويهيون إزاحته عن إمارته وضمّ إقليم جرجان إلى ملكهم سنة (371هـ)، وعاش قابوس في المنفى ولكنه استطاع أن يدحر جيوش البويهيين في معركة حاسمة عام (388هـ)، فاستعاد جرجان وكان ذلك بداية استيلائه على بلاد الجبل وخراسان⁽²⁾، وكان الأمير قابوس أديباً شاعراً ومصنفأً بليغاً، وله رسائل بليغة طبعت في عصرنا هذا في كتاب عنوانه (كمال البلاغة)⁽³⁾. وقد تعرف على الثعالي أيام إقامة الأمير الطويلة في منفاه في نيسابور، فدعاه لزيارة جرجان - عاصمة ملكه - عام (391هـ)، فكانت جرجان ثالث مدينة دارت فيها حياة الثعالي.

(1) بلدان الخلافة الشرقية، ص 417-418.

(2) انظر اليميني للعيني، 1/389-412، 7-1/2.

(3) انظر الكامل لابن الأثير، 9/98-99، اليميني، ص 105، 289، 2/172، النجوم الزاهرة، 233/4.

ولقد استمع الأمير قابوس إلى قصيدته التي هنأه فيها بالنصر
على البويهيين، وأولها:

الفتح منتظم والدهر مبتسم وملك شمس المعالي كلّه نَعَم⁽¹⁾

كما تلقى كتابه "المبهج" بالبر والتكريم، وعاد أبو منصور إلى
نيسابور مثقلاً بالأنعام.

وكان حاكم نيسابور آنذاك الأمير أبو المظفر نصر بن ناصر الدين
سبكتكين، وكان قد عاد من معركة دحر فيها فلول الجيوش السامانية
التي كان يقودها إسماعيل بن نوح المنتصر وذلك سنة (392هـ)⁽²⁾.

تبلّجت الأيام عن غُرّة الدهر وحلّت بأهل البغي قاصمة الظهر⁽³⁾

فكانت تلك القصيدة بداية صلة عامرة طويلة - بين الشاعر
والأمير - امتدت عشرين عاماً، وكان من ثمار هذه الصلة أن صنف
الثعالبي للأمير كتاب "أجناس التجنيس" وكتاب "الاقتباس" فنعم في ظل
الأمير عدة أعوام وكان ذلك كله قبل عام (396هـ)، وهو العام الذي
انتزعت فيه جيوش أيلك خان التركي مدينة نيسابور من الغزنويين،
وغادرها الأمير أبو المظفر⁽⁴⁾، وبمغادرته فقد الثعالبي ظلاً ظليلاً كان ينعم
به. وبعد رحيل أبي المظفر انصرف الثعالبي لتأليف كتاب "سحر البلاغة"

(1) اليميني، 2/ 7-8.

(2) اليميني، 1/ 320-332.

(3) اليميني، 1/ 332-335.

(4) الكامل في التاريخ، 9/ 188.

الذي أهدها لصاحب الجيش أبي موسى بن عمران⁽¹⁾، وفي عام (400هـ) فقد الثعالي صديقاً أثيراً هو البستي الشاعر، وحلّ القحط بإقليم خراسان كله (401هـ)، وصاحبه وباء عظيم عجز معه الناس عن دفن موتاهم، وتساقط الناس صرعى الجوع والوباء⁽²⁾، فحزّ ذلك في نفس الثعالي ودفعه إلى القول⁽³⁾:

لَمَّا رَأَيْتُ زَمَاناً	يَفْتَرُّ عَنْ كُلِّ صَعْبَةٍ
وَالْقَحْطُ فِي أَكْلِهِ نَا	سَ بِالذُّنَابِ تَشْبَةٍ
وَالْحَبُّ قَدْ عَزَّ حَتَّى	أَنْسَى الْمَحَبَّ الْأَحْبَنَ
فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ مَنِي	زَرَعْتُ حُبَّ ابْنِ حَبِّهِ

وغادر أبو منصور مدينته نيسابور والقلب منه يتفجع على ملاعب صباه، ولاذ بأسفرائين - رابع مدينة دارت فيها حياة الثعالي -، حيث حلّ ضيفاً على شيخها أبي العباس الفضل بن علي، وهو الذي وشّح ترجمته في اليتيمة بقوله: "ومن حسن أثره ويمن نقيته أن أسفرائين حرم آمن وجنة عدن عامرة، وقد شمل سائر كور نيسابور، ونواحيها الخراب وعمّها الاختلال"⁽⁴⁾.

وفي أسفرائين تعرف على عدد من رجال الفكر والأدب، وفيها توجه إلى جرجان ثانية، وكان ذلك عام (403هـ) حيث حلّ ضيفاً على

(1) سحر البلاغة، ص 5.

(2) الكامل في التاريخ، 9/ 225.

(3) ثمار القلوب، ص 265.

(4) يتيمة الدهر، 4/ 437.

أبي سعد محمد ابن منصور مشير الأمير قابوس⁽¹⁾، فانعم عليه الأمير
والمشير بما هدا روعه وخفف من وقع النوائب والغربة عنه، فتنفرغ لكتابة
النسخة الثانية من "تيمة الدهر"، وأهدى للأمير كتابه التمثيل والمحاضرة⁽²⁾.
أمران نغصا عليه الإقامة في جرجان.

أولهما: اختلاف هواء مدينة جرجان وتعاقب الحرّ والبرد في يوم
واحد، وهو جو لم يألف الشعالي مثله في نيسابور، فقال⁽³⁾:

الأرب يوم لي بجرجان أرعن	ضحكت له من خرقه أتعجب
وأخشى على نفسي اختلاف هوائه	وما للفتى مما قضى الله مهرب
وما خير يوم أخرج متلون	ببرد وحر بعده يتلهب
فأول له للفرو والجمر يثقب	وأخره للثلج والخيش يضرب

يضاف إلى ذلك الحشرات المؤذية المنتشرة في جرجان، وفيها يقول
الشعالي⁽⁴⁾:

وليل بته رهن اكتئاب	أقاسي فيه أنواع العذاب
إذا شرب البعوض دمي وغنى	فاللبرغوث رقص في ثيابي

وثانيهما: أن أمير جرجان قابوس - وكان يعيش بظله - تعرض
في العام ذاته لتأمر من بعض قادة جيشه، فتنازل عن الحكم لابنه ورضي

(1) تيمة التيمة، 1/ 144.

(2) التمثيل والمحاضرة، ص 6.

(3) مجموع شعره المقطعة 8.

(4) خاص الخاص، ص 236.

العيش في منفى، لكن المتأمرين لم يطب لهم عيش ببقائه حياً وخافوا نقمته فعمدوا إلى الفتك به بتعريته في قلب الشتاء القاسي، فهلك ودفن بظاهر جرجان حيث ما زال قبره حتى اليوم قائماً بقرب خرائبها.

إنّ مأساة الأمير الشاعر البليغ قابوس هذه، دفعت الشعالى إلى مغادرة جرجان إلى الجرجانية - خامس مدينة دارت فيها حياة الشعالى - وعاصمة مأمون بن مأمون خوارز مشاه، تلبية لدعوة تلقاها من أميرها، وهو يردد في سرّه⁽¹⁾:

اسلك طريق العزم والحزم	واترك بلاد الظلم والغشم
ما العيش إلا أن يكون لمن	أمن المظالم، وافر القسم
كحمام مكة أو رعيّة ما	مون بن مأمون خوارزم ⁽²⁾

إقليم خوارزم في زمننا هذا موزع بين جمهوريتين في الاتحاد السوفيتي المنحل هما: اوزبكستان وتركمانستان، وقد كان لإقليم خوارزم في صدر القرون الوسطى قصبستان: أولاهما في الجانب الغربي - أي الفارسي - من نهر جيحون، تسمى الجرجانية.

والأخرى في الجانب الشرقي، أي التركي مع النهر، ويقال لها كاث، وكانت الجرجانية - أيام الشعالى - تقع على غلوة من غرب نهر كبير تجري فيه السفن، يأخذ من جيحون، ويجري محاذياً له، وبانحطاط كاث أصبحت الجرجانية أولى مدن إقليم خوارزم، وفي الأزمنة الأخيرة،

(1) مخطوطة أحاسن المحاسن، الورقة 65.

(2) انظر أخباره في الكامل في التاريخ، 9/ 132، 264، 422.

كانت تعرف بوجه عام بمدينة خوارزم⁽¹⁾. وقد اشتهر أهل الجرجانية بالصناعات الدقيقة رجالاً ونساءً، كما اشتهرت بالبطيخ الذي لا يوجد مثله في غيرها من البلاد حلاوة وطيباً، وإقليم خوارزم بلاد خصبة وأهم تجارته الطعام والحبوب والفواكه والقطن والصوف، وفي أسواق الجرجانية أشهر أنواع الفراء وأغلاها. وأهم تجارات الخوارزم في القرن الرابع الهجري كانت جلب الرقيق، فقد كانوا يشترون أو يسرقون بنات الأتراك من بدو تلك البراري، وبعد تأديبهن بالآداب الإسلامية، يجلبونهن إلى سائر البلاد الإسلامية لبيعهن⁽²⁾.

وإقليم خوارزم عامة شديد البرودة وقد سجل الثعالبي حالة الطقس هذه في قوله⁽³⁾:

لله بردُ خوارزم إذا كلبتُ	أنياؤه وكست أبداننا الرعدا
فالشمسُ محجوبةُ والريحُ مذميمةُ	جلود قوم أضاعوا الصبرَ والجلدا
والماءُ مستحجرٌ والكلبُ مُنَجَّحَرٌ	والزمهريرُ يسوقُ الصرَّ والصردا
فلو ثقبُلُ معشوقاً مخالسةُ	رأيتَ فاكَ على فيه وقد جمدا

والسلطان الذي قصده الثعالبي حين شدَّ رحاله إلى الجرجانية، وهو أبو العباس مأمون بن مأمون الذي ورث الملك عن أخيه علي بن مأمون، وخلفه على زوجته أخت السلطان محمود الغزنوي، وكان أديباً ذواقة صنف له الثعالبي عدداً من مصنفاته منها: 1- الملوكي،

(1) بلدان الخلافة الشرقية، ص 489-1491.

(2) بلدان الخلافة الشرقية، ص 502.

(3) خاص الخاص، ص 241-242.

2- المشرق، 3- اللطائف والظرائف، 4- نثر النظم وحل العقد، 5-
النهاية في الطرد، 6- النسخة الثانية من كتاب النهاية في الكناية، وسماه
الكناية والتعريض.

وقد حلّ الشعالي في موضع أثير من نفس الأمير، ونال لديه
حظوة عظيمة، فكان نديمه وسميره في مجالس شربه، وكثيراً ما اقترح عليه
النظم في أغراض معينة، فيبادر أبو منصور لإجابة طلب الأمير.
ولقد طاب العيش لأبي منصور في ظل خوارزمشاه، حتى لم يجد
في الحياة مطلباً وأرباً غير الأمير، والأدب:

شيئان والله ما أقلهما وليس لي في سواهما أربُ
فإن ثقل ما هما أحب وأقل باب خوارزم شاه والأدب⁽¹⁾

وكان الشعالي يقصد الرياض - في الجرجانية - لتقرّ بها عينه
ويُجلى بها خاطره، لكنه يصرح بأن شغفه بالروض مرده لأنه يناسمه
بريح الشباب وبأخبار خوارزمشاه.

أرى الروض للإنسان قرة ناظر وللشاعر الوصف قوة خاطر
ولما أتيناه كوشي منمنم تلوح عليه مونقات الجواهر
سعت نحونا أيدي الصبا بمجامر ومدّ علينا الغيم دكن الستائر
تلاقى به دمع الغمام، وأدمع!! مدام، ودمع الصبّ بين المحاجر
فيالك من روض كأن نسيمه نسيم حبيب في دجى الليل زائر
وما شغفي بالروض إلا لأئه يناسمني ريح الشباب المسافر

(1) برد الأكباد، ص 1111.

وأخبار مأمون بن مأمون الذي يصون غصون الملك عن كل كاسر⁽¹⁾

ويقترح مأمون بن مأمون خوارزمشاه على الشعالبي تهنتته بنبات
أسنان ابنه، فيقول أبو منصور:

لِيَهْنِكَ يَا شمس الزمان وَبَذْرُهُ طلوع النجوم الزهر في في هلالكا⁽²⁾

ولقد ذكر البيهقي أنه سمع الشعالبي يقول: أنه كان يحضر مجلس
الشراب الذي كان يرأسه خوارزم شاه، وأنّ خوارزم شاه كثيراً ما كان
يشرب حتى الثمالة.

ونقل البيهقي عن لسان البيروني: أنّ أبا العباس المأمون بن
خوارزم شاه آخر أمراء الأسرة المأمونية، كان رجلاً فاضلاً شهماً، يتحلى
بالأخلاق الفاضلة، ومع هذا كان يفرط أحياناً في شرب الخمر، وكان
يجلس للشراب ويدعو صفوة الأولياء، والحشم والندماء، وأبناء الأمراء
الذين كانوا في البلاد، من السامانيين وغيرهم، وكان يأمرهم بدعوة
الرسل الذين جاءوا من الأطراف، فيدعونهم بما يليق بمكانتهم
ويجلسونهم، فكان إذا أمسك بالقدح الثالث يقف ويشربه في نخب ذكرى
السلطان محمود، ثم يشير إليهم واحداً واحداً، فيقبلون الأرض، ويقفون
حتى يشربوا الكأس جميعاً، ثم يشير إليهم بالجلوس، ويجيء الخادم وفي
أثره يؤتى بصلات المغنين، لكل واحد منهم حصان قيم وكسوة وكيس
فيه عشرة آلاف درهم⁽³⁾.

(1) مخطوطة أحاسن المحاسن الورقتان 26-27.

(2) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقة 18.

(3) تاريخ البيهقي، ص 734.

لقد كان بلاط أبي العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه منتجعاً للعلماء والأدباء والشعراء، ومن أشهر الشعراء المختصين به: أبو الفضل محمد بن أحمد الهلالي⁽¹⁾، وهو أديب شاعر مفلق، ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد السهيلي وكان قد ورد لعلي بن مأمون خوارزم شاه ثم لأخيه أبي العباس، ثم خرج سنة (404هـ) إلى بغداد مغاضباً⁽²⁾.

وكان خوارزم شاه هذا مُمدِّحاً، مدحه عدد كبير من الشعراء، فمن مدّاحه أحمد بن محمد الصخري⁽³⁾، ومحمد بن أحمد المعصومي⁽⁴⁾، والثعالبي وغيرهم.

وواضح من أشعار هؤلاء أن خوارزم شاه مأمون بن مأمون كان متخرفاً في جوده، وإلى ذلك يشير المعصومي في قوله⁽⁵⁾:

يا أيها الملك الذي انقادت له	جمحات هذا الدهر بعد شِماسِ
لك هِمةٌ في المجد مأمونية	أعيتَ سَمِيكَ من بني العباس
ذو راحةٍ حكمت لحاتم طيءٍ	ولخالدٍ في الجود والإفلاس
لم يُلْهِه عن ضبط حوزة ملّكه	سُكْرُ الشباب ولا حُمَيّ الكاس
وليَهِنَكَ الملك الذي ألبسته	يا خير لبّاسٍ لخير لبّاسِ
فالله لم يبعثك إلا رحمة	مبسوطةً للناس بعد الناس

(1) المحمدون، ص 51-52.

(2) معجم الأدباء، 4/ 261، والوافي بالوفيات، 8/ 148، وتمة اليتيمة، 2/ 23-24.

(3) معجم الأدباء، 5/ 26-27.

(4) ترجمته في تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي، ص 120.

(5) المحمدون، ص 10-11.

طبيعة سخية، وملك مفرطاً في السخاء.

وإذا أضفنا لهذا كله ما عُرِف به أهل خوارزم من كرم وسخاء،
وحباً للغرباء وإكرام للضيف على ما ذكر ابن بطوطة⁽¹⁾، فهمنا سر تعلق
الثعالي بهذا الإقليم وبملكه، ومدحه إياه في العديد من قصائده، التي
وصلت إلينا منها مقطعات. فممّا قاله في مدحه مشيراً إلى تحرقه في
الجود⁽²⁾:

رعى الله مأمون بن مأمون الذي رعاياه منه في زمان البرامك
ولا برحّت أيامه بفعاله وإنعامه المشهور غرّ المضاحك

ولقد ظلّ الثعالي يتفياً ظلال خوارزمشاه وينعم بكرمه، حتى
انتهت حياة الملك عام (407هـ)، بثورة قواده عليه واغتيالهم له حين
استجاب إلى طلب السلطان محمود الغزنوي فأقام الخطبة باسمه⁽³⁾،
فانطوت بذلك إحدى صحائف السرور في حياة الثعالي.

ولقد شدّت الثعالي بأحد أعيان خوارزم وهو محمد بن حامد
الحامدي⁽⁴⁾، صلة مودة، وكان المذكور متولياً خزانة كتب الملك، والسفارة
له بين الملوك والأمراء، فأهدى إليه كتابه: "تحفة الوزراء"⁽⁵⁾، وكان الحامدي
المذكور أديباً شاعراً ناثراً حسن الخط.

(1) رحلة ابن بطوطة، ص 361.

(2) ثمار القلوب، ص 203، وانظر المقطعات، 53، 93، 106، 142، 145، من مجموع شعره
المنشور بالمورد.

(3) الكامل في التاريخ، 9/ 264.

(4) انظر ترجمته في المحمدون ص 319-320، واليتيمة، 4/ 248-254.

(5) الذي في الإهداء أنه لأبي عبدالله الحمدوني، وذهب محمود الجادر في كتابه الثعالي ناقداً
وأديباً، ص 40 أن المقصود هو أبو عبدالله محمد بن حامد، وأنه أهدى إليه كتابين هما:
أحسن ما سمعت، وتحفة الوزراء. ولم أجد في مقدمة أحسن ما سمعت أنه أهده لأحد.

كان رحيل الثعالبي عن الجرجانية عام (407هـ) أو قبلها متوجهاً نحو غزنة سادس مدينة دارت فيها حياته اشتهرت في التاريخ في ختام القرن الرابع الهجري، كانت عاصمة السلطان العظيم محمود الغزنوي الذي امتدّ سلطانه من الهند إلى بغداد⁽¹⁾، وقد جدد السلطان محمود بناء غزنة في نحو سنة (415هـ) عند رجوعه إلى بلاده محملاً بالغنائم من الهند، وبلغت المدينة أوج ازدهارها في أيامه واستمرت على ذلك نحو نصف قرن، وكان السلطان محمود قد تولى الحكم بعد وفاة والده، ناصر الدين سبكتكين سنة (387هـ) وكانت للثعالبي معرفة بالسلطان محمود، وذلك حين امتدحه، مهنئاً بفتح سجستان سنة (393هـ)، واستعادتها من العصاة فأنشده قصيدته التي أولها:

يا خاتم الملك ويا قاهر الـ أملاك بين الأخذ والصفح⁽²⁾

وقد اغتنم فرصة قدومه لغزنة فأهدى للسلطان كتابه "لطائف المعارف" ثم انثنى يوطد علاقته بأخي السلطان صديقه القديم الأمير ناصر بن ناصر الدين، مجدداً ما كان بينهما من مودة أيام نيسابور، فأثخفه بكتابه: "اليواقيت في بعض المواقيت"، و"غرر أخبار الفرس وسيرهم". وقد مدح أبو منصور السلطان محمود بقصائد عديدة منها قصيدته التي مطلعها:

(1) انظر الكامل في التاريخ، 401/9، وكتاب اليميني كتبه محمد بن عبد الجبار العتيبي في سيرة

هذا السلطان.

(2) اليميني، 388/1-389.

سعدت بغرة وجهك الأيام وتزينت ببقائك الأعوام⁽¹⁾
ومنها قوله⁽²⁾:

نلسيد الملك الهمام المرتجى محمود المتطوّل الميمون
رأي الرشيد وهيئة المنصور في حُسن الأمين وحِشمة المأمون

ويجيء عام (412هـ) فيرُزأ الثعالبي بوفاة صديقه الأمير نصر،
فكتب يعزي السلطان بوفاة أبي المظفر⁽³⁾:

صنو أعلى الملوك ورثته عمراً طويلاً أحبب بذلك عمرا
كان ظفراً له فقد صار أجرا كان فخراً له فقد عاد ذخرا

وكان أبو منصور قد صنف بغزنة كتابه "زاد سفر الملوك"، وأهداه
لأبي سعيد الحسن بن سهل⁽⁴⁾.

ولقد تركت أيامه في غزنة ظلالاً في شعره، فمن ذلك قوله⁽⁵⁾:

واهاً لغزنة إذ غدت للملوك والإسلام دارا
من كعبة قد أصبحت للمجد والعليا مدارا
في صدرها الملك الذي قطب السعود عليه دارا

(1) اليسني، 1/ 383-384.

(2) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقة 24.

(3) مخطوطة روح الروح، الورقة 58.

(4) مخطوطة زاد سفر الملوك، الورقة 1.

(5) نهاية الأدب، 1/ 365.

وقوله من قصيدة أخرى⁽¹⁾:

يا دار مُلكٍ نرى كلَّ الجمال بها وأسعد الدهر تبدو من جوانبها
كأنما جنة الفردوس قد نزلت بأرض غزنة تعجلاً لصاحبها

وقوله من أخرى⁽²⁾:

طلع الربيعُ بطلعة السراءِ متبجلاً عن نعمة ييضاءِ
فابرزُ إلى صحراء غزنة كي ترى من حسنها الغبراء كالخضراءِ
وأشرب على الحمراء، والصفراء من صهباء تنفي غمة السوداء

وعلى الرغم من أن أبا منصور غادر غزنة بعد وفاة صديقه
الأمير نصر واتجه إلى هراة سابع مدينة دارت حياته فيها إلا أن صلته
الروحية لم تنقطع بسلاطين الدولة الغزنوية، فهو يرثي السلطان محمود بن
سبكتكين عند وفاته سننة (421هـ)⁽³⁾.

وهو يمتدح السلطان محمد بن محمود الغزنوي⁽⁴⁾، الذي تغلب
عليه أخوه السلطان مسعود فأزاله عن الملك، ثم عاد إليه، لكنه لم يتمتع به
استأصل شأفته وأولاده مودود بن مسعود سنة (432هـ)⁽⁵⁾.

(1) لطائف المعارف، ص 208.

(2) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقتان، 37-38.

(3) انظر المقتطفة (146) من مجموع شعره.

(4) مرآة المروءات، ص 26.

(5) الكامل في التاريخ، 9/ 203.

أقول وهو يمتدحه بأكثر من قصيدة، فمن ذلك قوله⁽¹⁾:

دع الأساطير والأنباء ناحيةً وعاین المَلِك المنصورَ مسعوداً
تري الأكابر طُراً والملوك معاً ورستمأً وسليمانَ بن داوداً

وانظر المقطعة (141) من مجموع شعره.

وكانت لأبي منصور علائق واسعة متشعبة مع أعيان الدولة
وصدورها، وأدبائها وقضاتها في غزنة، ومن هؤلاء محمد بن عيسى
الكرجي الذي فصَّنَفَ له كتاب "تحسين القبيح وتقبيح الحسن".

في هراة حلّ ضيفاً على القاضي منصور بن محمد الهروي
الأزدي⁽²⁾، فصَّنَفَ باسمه كتاب اللطيف في الطيب وكتاب الإيجاز
والإعجاز، فأثابه القاضي على ذلك، ثم غادر هراة والحنين يشده إلى
مراتع صباه في نيسابور، فبلغها وقد تجاوز الستين، وتلفت نيسابور ابنها
العائد بشوق وترحاب، وأنشده شاعرها الحسن بن مؤمل الحربي أبياتاً
تعبّر عن مدى سرور البلد بعودته⁽³⁾:

قد أشرقت أرجاء نيسابور وطلعت طلائعُ السرورِ
يعودُ مولانا أبي منصور لا زال في عزٍ وفي حُجورِ
ودولة تبقى على الدهور

(1) خاص الخاص، ص 237.

(2) انظر ترجمته في تنمة اليتيمة، 46/2.

(3) تنمة اليتيمة، 23/2.

وفي ظل صديقه الأثير الأمير أبي الفضل عبيد الله أحمد الميكالي،
أمضى الثعالبي أعوامه الأخيرة، فصنّفَ له كتاب "ثمار القلوب" وكان قد
صنّف له قبله كتاب "فضل من اسمه الفضل".

واختصر كتاباً في المختارات الشعرية صنّفه الميكالي وسمّاه
المنتخل، وأخذ برأي الميكالي في تأليف كتاب لغوي رسم له معالمة
وقواعده، فاختلى أبو منصور بضیعة له بعيدة المزار جمع فيها بين الخلوة
والتأليف بعد أن زوده الأمير الميكالي من ثمار خزائن كتبه ما استظهر به
على ما هو بصده، فكانت ثمرة هذا الجهد كتاب "فقه اللغة" الذي أهده
الثعالبي للميكالي⁽¹⁾.

وحدث أن داهم "القفص" ضیعة أبي منصور ونهبوا غلالها، كما
نهبوا غلال كثير من قرى خراسان - وكان ذلك عام (420هـ) -
وهؤلاء القفص كانوا يسكنون جبلاً بكرمان وهم قوم لا أخلاق لهم ولا
دين، وجوههم وحشة، وقلوبهم قاسية نزعت منها الرحمة، لا يقنعون
بأخذ المال حتى يقتلوا صاحبه، ولا يبقون على أحد، ولهم مكامن في
الجبال يمتنعون بها⁽²⁾ وقد حزن الثعالبي لأنّ قومه آثروا تربية البقر على
تربية الخيول فاستطاع "القفص" أن يذلّوهم ويسلبوا خيراتهم:

قلت لما ساقني القفص لنا	بقرُ ذقنا به حرّ سقر
فاتنا عز نواصي الخيل فلـ	سيق فينا ذل أذئاب البقر ⁽³⁾

(1) فقه اللغة، ص 15-16.

(2) معجم البلدان، 4/149.

(3) خطوط التوفيق للتلفيق، الورقة 24.

وانزوى الثعالي في ضيعته خوفاً وفرقاً، ومن مكمته هناك كتب
للأمير الميكالي⁽¹⁾.

أيا واحد السادات لا زلت شارباً بكأس نعيم من فنون الأذى خلص
أنا بجناح الشوق نحوك طائرٌ ولكن خوف القفص أدخلي القفص

وهناك قصائد ومقطعات كثيرة كرسها الثعالي لمدهح الميكالي
وإزجاء الشكر له على أفضاله المتوالية.

وفي عام (422هـ) ولي أبو سهل الحمدوني نائباً عن السلطان
الغزنوي مسعود بن محمود⁽²⁾، وأبو سهل هذا كانت له صلة معرفة بابي
منصور الذي أهده في الماضي الإخراجة الثانية من كتاب "سحر البلاغة".

فسر الثعالي بمقدمه، وصنف له ثلاثة كتب هي: برد الأكباد في
الإعداد، اللطف واللطائف، مرآة المروءات.

وجاء عام (424هـ) فحل السلطان مسعود بنيسابور مع وجوه
دولته وأعيانها مدة، قاصداً بغداد⁽³⁾، فاغتنم أبو منصور الفرصة فمدح
السلطان شعراً⁽⁴⁾، ومدح وزيره أبا نصر أحمد بن محمد⁽⁵⁾.

وصنف للشيخ العارض مسافر بن الحسن كتاب "خاص الخاص"
وكانت بينهما صلة مودة وتراسل وتواد.

(1) مخطوطة التوفيق للتلفيق، الورقة 31.

(2) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامبور، ص 80.

(3) الكامل في التاريخ، 428/9.

(4) انظر المقطعتين 59 و 141 من مجموع شعره.

(5) انظر خاص الخاص، ص 238.

وكان الحسن إبراهيم الصيمري ممن صحب السلطان إلى نيسابور، وحدث أن أعجب المذكور بكتاب "فقه اللغة" فاختصره أبو منصور وسمّى المختصر "خصائص اللغة" وأهداه للصيمري⁽¹⁾.

وعكف على كتابه "تتمة اليتيمة" وأهدى مسودتها إلى الشيخ محمد ابن عيسى الكرجي صديقه القديم - وكان في صحبة السلطان - لما أعجبه السفر⁽²⁾.

ووردت إلى السلطان مسعود وهو بنيسابور أنباء عن عصيان نائبه على الهند، فعدل عن التوجه إلى بغداد، وعاد مع مرافقيه إلى غزنة⁽³⁾.

فانصرف الثعالبي إلى تنقيح كتابه "تتمة اليتيمة" مترجماً فيه للعديد ممن عرفهم من حاشية السلطان مسعود من الأدباء.

وأم تأليف كتابه الغلمان⁽⁴⁾، وذكر في التتمة أنه بسبيل تصنيف كتاب "سر الصناعة" غير أننا لا نعلم أمه أم لم يتمه.

وفي عام (429هـ) توفي أبو منصور بنيسابور، فانطوت بوفاته موسوعة في تاريخنا الأدبي، رحمه الله⁽⁵⁾.

(1) الثعالبي ناقداً وأديباً، ص 48.

(2) تتمة اليتيمة، 1/1.

(3) الكامل في التاريخ، 9/428.

(4) انظر تاريخ آداب العربية لجرجي زيدان، 2/597، حيث ذكر مخطوطات كتاب الغلمان. ووهم الجادر في ظنه قال إن هذا الكتاب يعد في حكم المفقود اليوم، انظر: الثعالبي ناقداً وأديباً، ص 48.

(5) وفيات الأعيان (ط. محيي الدين عبد الحميد)، 2/352، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفدا، 4/62، البداية والنهاية لابن كثير، 12/44.

وقد رثاه صديقه أبو سعد عبد الرحمن بن دوست بالأبيات

التالية⁽¹⁾:

كان أبو منصورٍ الثعلبي	أبرعَ في الآداب من ثعلبٍ
ليت الردى قدمني قبله	لكنه أروغ من ثعلبٍ
يطعن من شاء من الناس بالـ	موتِ كطعن الرُمح بالثعلب

(1) مخطوطة الوافي بالوفيات، 17/15، القسم الثاني، الورقة 270.

آثاره:

لم يحاول أحد من القدامى حصر مصنفات الثعالبي، وأوسع القوائم وهي: قائمة الصفدي أورد فيها أسماء سبعين مصنفاً من مصنفات الثعالبي، ثم أعقبها بقوله: "وله غير ذلك أشياء كثيرة، وفيما يلي قائمة بما طبع من آثاره.

- 1- أجناس التجنيس = المتشابه لفظاً وخطاً: نشره ببغداد الدكتور إبراهيم السامرائي بعنوان المتشابه في العدد العاشر من مجلة كلية الآداب - نيسان 1967، ونشره محمود عبدالله الجادر ببيروت، 1997، وأعاد لجادر نشره ببغداد سنة 1998.
- 2- آداب الملوك: بتحقيق د. جليل العطية، بيروت، 1991.
- 3- أحسن ما سمعت: طبعه محمد صادق عنبر في مصر سنة (1324هـ).
- 4- الإعجاز والإيجاز: طبع بعنوان الإيجاز والإعجاز ضمن كتاب "خمس رسائل المطبوع في الأستانة سنة (1301هـ)، وطبعه اسكندر أصفاف في مصر سنة 1897، وأعاد دار صعب في بيروت ودار البيان طبع نشرة أصفاف بالأوفسيت في بيروت دون ذكر السنة.
- 5- الاقتباس من القرآن الكريم: نشرت الجزء الأول منه ابتسام مرهون الصفار ببغداد سنة 1975، ونشر الجزء الثاني بمصر تحقيق ابتسام الصفار سنة 1986 ومجاهد مصطفى بهجت، ونشر في مصر في سلسلة الذخائر، الهيئة العامة للقصور 2003، وفي إربد، المملكة الأردنية الهاشمية، عالم الكتب الحديث، 2008.
- 6- الأنيس في غرر التجنيس: نشره هلال ناجي في بغداد سنة 1982.

- 7- برد الأكباد في الإعداد: طبع في الأستانة سنة (301هـ) ضمن كتاب خمس رسائل في مطبعة الجوائب، وأعادت دار الكتب العلمية في النجف نشره بالأوفسيت دون ذكر السنة.
- 8- تمة اليتيمة: طبعت في جزئين بمطبعة فردين في طهران سنة (1353هـ) بتحقيق عباس إقبال.
- 9- تحسين القبيح وتقييح الحسن: نشره شاعر العشور مُنْجَمًا في مجلة الكتاب ببغداد عامي 1974-1975، ثم أعاد نشره في مطبوع مستقل من مطبوعات وزارة الأوقاف ببغداد سنة 1981، ونشره ثالثة بدمشق سنة 2006.
- 10- التمثيل والمحاضرة: نشره عبد الفتاح محمد الحلو في القاهرة سنة 1961.
- 11- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: نشره محمد أبو الفضل إبراهيم في القاهرة سنة 1965، وكان قد نشره أولاً أبو شادي بمطبعة الظاهر سنة (1326هـ)، ونشره الأستاذ إبراهيم صالح بدار البشائر بدمشق سنة 1994 في مجلدين.
- 12- خاص الخاص: طبع في تونس سنة (2293هـ)، ثم طبع بمصر بعناية محمود السمكري بمطبعة السعادة سنة (1326هـ)، وطبعته دار مكتبة الحياة ببيروت سنة 1966، بتقديم حسن الأمين، طبعة أساءت للكتاب بإسقاط مقدمته التي فيها سياقة الأبواب.
- 13- سحر البلاغة وسرّ البراعة: طبع في دمشق بتحقيق أحمد عبيد، طبعة غير مؤرخة.

- 14- الظرائف واللطائف: دمج أبو نصر المقدسي هذا الكتاب مع كتاب اليواقيت والمواقيت وسمى المجموع "اللطائف والظرائف"، وبالعنوان الأخير طبع بمصر سنة (1275هـ و 1296هـ و 1307هـ) وطبع ببغداد سنة (1282هـ).
- 15- غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم: نشر في باريس بتحقيق زوتنبرك سنة (1900هـ).
- 16- كتاب غرر البلاغة في النظم والنثر: حققه قحطان رشيد صالح، بغداد، 1998.
- 17- فقه اللغة وسرّ العربية: أجود طبعاته بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري بمصر سنة 1938م.
- 18- الكناية والتعريض - النهاية في الكناية: طبع بمطبعة السعادة سنة (1326هـ) مع كتاب المنتخب من كنايات الأدباء وإشارات البلغاء للجرجاني، وهي طبعة أعادت دار صعب ودار البيان نشرها بالأوفسيت ضمن كتاب "رسائل الثعالبي" وطبع بمصر سنة 1998، تحقيق عائشة حسين فريد.
- 19- لطائف الظرفاء لطائف الصحابة والتابعين ليدن 452، كتاب في الأدب بلا عنوان باريس 4201 اللطف واللطائف - دمشق 11005. نشره الدكتور عمر الأسعد في بيروت سنة 1980 معتمداً مخطوطة واحدة في برنستون وكان قد نشره بلايدن الدكتور قاسم السامرائي بطريقة تصوير مخطوطة ليدن سنة 1978.

- 20- لطائف المعارف: طبع بعناية المستشرق دي يونغ في لندن سنة 1867م، وأعاد طبعه حسن كامل الصيرفي وإبراهيم الأبياري في القاهرة سنة 1960.
- 21- المبهج: طبع في مطبعة النجاح بمصر سنة 1904، وحققه الأستاذ إبراهيم صالح ونشره بدمشق سنة 1999.
- 22- مرآة المروءات: طبع في مطبعة الترقى سنة 1898م.
- 23- المنتخل: صَحَّف إلى المنتحل، والكتاب في أصله من تصنيف أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي، وقد اختصره الثعالبي، وطبع هذا المختصر منسوباً للثعالبي في الإسكندرية سنة 1901م، بتحقيق أحمد أبو علي.
- 24- من غاب عنه المطرب: طبع في القسطنطينية سنة (1302هـ) بمطبعة الجوائب ضمن مجموعة التحفة البهية، وطبعه النبوي شعلان بمصر 1984. ثم طبعه عبد المعين الملوحي بدمشق سنة 1987، وكانت نشرة يونس السامرائي أجود النشرات.
- 25- نثر النظم وحلّ العقد: طبع بدمشق وعلى هامشه الفرائد والقلائد سنة (1301هـ)، وطبع بمصر سنة (1317هـ)، وأعاد طبعه بالأوفسيت في بيروت - دار صعب ودار البيان - وبهامشه الفرائد والقلائد ناسبة الكتاب الأخير للثعالبي وهماً - وهو للأهوازي - ولم أجد للطبعة تاريخاً.
- 26- نسيم السَّحَر: مختصر من كتاب فقه اللغة، نشره محمد حسن آل ياسين ببغداد، ثم أعادت نشره ابتسام مرهون الصفار في المجلد الأول من مجلة المورد ببغداد سنة 1971.

- 27- النية في الطرد والغنية: طبع بمكة المكرمة سنة (1301هـ)، وفي القاهرة سنة (1326هـ).
- 28- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر: أشهر كتب الثعالبي على الإطلاق. طبعت غير مرة ومن طبعاتها طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (ط2) (1375هـ-1956م)، القاهرة مطبعة السعادة في 4 أجزاء.
- 29- اليواقيت في بعض المواقيت: أدججه أبو النصر المقدسي مع كتاب الظرائف واللطائف، مُبْقِيّاً على مقدمتيهما وسمى المجموع "اللطائف والظرائف" وطبع المجموع عدة مرات، ينظر الرقم 13، ثم نشره سنة 1990 ببغداد محمد جاسم الحديثي بعنوان "اليواقيت في بعض المواقيت".
- 30- أحاسن المحاسن: منه مخطوطة وحيدة في العالم محفوظة في باريس برقم (3306) زودت بمصورتها ابننا الروحي الدكتور ياسر أحمد فياض الفهداوي، ونال بها الدكتوراه من كلية آداب الأنبار ولم تطبع بعد.
- 31- التوفيق للتلفيق: نشره محققاً ببغداد في مطبوعات المجمع العلمي العراقي هلال ناجي وزهير زاهد سنة 1985، وكان قد نشره الأستاذ إبراهيم صالح بدمشق قبل ذلك، ثم أعاد هلال وزهير طبعه في بيروت سنة 1996.
- 32- ديوان الثعالبي: جمعه ابتداءً عبد الفتاح الحلو - رحمه الله - ونشره في المورد، ثم جمعه وحققه محمود عبدالله الجادر ونشره في بغداد سنة 1990.

33- لطائف الكتب ومحاسنها: نشرها هلال ناجي في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة 1996.

34- اللطف واللطائف: حققه محمود عبد الله الجادر - رحمه الله - نشره في الكويت سنة 1984 وثانية في العراق سنة 1997، وثالثة في بغداد سنة 2003.

35- لباب الآداب: جزأان حققه ونشره قحطان رشيد التميمي وطبع ببغداد سنة 1988م.

36- تحفة الوزراء: طبعته المستشرقة الألمانية ريجينا هاينكة في مجلة الأبحاث ببيروت سنة 1972، وشككت في نسبته للثعالبي، وأعادت نشره ابتسام مرهون الصفار، وحبيب الراوي ببغداد سنة 1977، ونشر في عالم الكتب الحديث، إربد - الأردن، 2008.

37- زاد سفر الملوك: وهو كتابنا هذا وسنخصّه بفقرة مستقلة.

وصف المخطوطة:

المخطوطة التي اعتمدها في تحقيق الكتاب فريدة في الدنيا، وتقع ضمن مجموع رقمه (5067)، وهي الكتاب الثالث في المجموع المحفوظ في مكتبة جستریتی بدبلن في إرلندة إنَّ عدم ذكر القدامى له في مصنفات الثعالبي لا يطعن في صحة نسبة الكتاب إليه.

فالأدلة على أن هذا لكتاب من مصنفات كثيرة ومنها:

- 1- أن ورقة العنوان تحمل اسمه بالنص التالي (كتاب زاد سفر الملوك) تأليف الأستاذ أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري رحمه الله عليه)، ويقع الكتاب في خمس وثلاثين ورقة كتبت بخط جميل عدة كل ورقة صفحتان، ومعدل سطور الصفحة الواحدة ستة عشر سطرًا.

- 2- إن أسلوبه مماثل لأسلوب الثعالبي في تصانيفه، بدءاً من كتابة مقدمة أهدى فيها الكتاب إلى علم من أعلام عصره في غزنة هو أبو سعيد الحسن بن سهل، ويمثله أيضاً في ذكر موضوع الكتاب وثبت أبوابه تفصيلاً، وعدتها أربعة وأربعون باباً.
 - 3- أورد المؤلف نصوصاً من كتابه "المبهيج" نسبها لنفسه صراحة - تنظر الهوامش 9 و 23 وغيرها.
 - 4- أورد أشعاراً نسبها لنفسه صراحة، وقد وردت في المصادر منسوبة له.
 - 5- أن جميع الذين استشهد بأقوالهم أو أشعارهم كانوا ممن سبقوا الثعالبي زمناً أو عاصروه، وليس فيهم أحد متأخر عنه.
 - 6- وهذه الأدلة مجتمعة تؤثّق نسبة الكتاب إلى الثعالبي، صنفه بعد رحيله من الجرجانية إلى غزنة وهي سادس مدينة دارت فيها حياة الثعالبي، وغزنة هذه كانت عاصمة السلطان العظيم محمود الغزنوي الذي امتدّ سلطانه من الهند إلى بغداد، وكان رحيله من الجرجانية عام (407هـ) أو قبلها، ووثق الثعالبي صلاته بالسلطان وأخيه الأمير نصر بن ناصر الدين سبكتكين وصنّف باسميهما كتباً عدة ذكرناها فيما تقدم، وامتدح السلطان بأشعار وصلت إلينا، وكان السلطان قد جدّد بناء غزنة نحو سنة (415هـ).
- وخلال وجوده بغزنة صنّف كتابه هذا وأهداه لأبي سعيد الحسن بن سهل من أعلام الدولة الغزنوية. وبعد وفاة الأمير نصر شقيق السلطان سنة (412هـ) رثاه الثعالبي ثم رحل من غزنة إلى هراة، لكنّ غزنة تركت في إشعاره أثراً واضحاً وظلت صلاته الروحية بسلاطين الدولة الغزنوية مستمرة وكانت لأبي منصور علائق متشعبة مع أعيان الدولة وصدورها.

خاتمة:

لأبي منصور الثعالبي في رقاب الترائين العرب دينان: دين حفظه أدب القرن الرابع الهجري وشطراً من الخامس، شعراً ونثراً، بما صنف وألف، حتى كانت تصانيفه تاريخاً أدبياً لهذه الفترة المهمة من تاريخنا.

ودين حُبِّ العميق لأمتنا العربية والذي عبّر عنه أصدق تعبير بقوله: إن من أحبَّ الله أحبَّ رسوله المصطفى ﷺ. ومن أحبَّ النبي العربيَّ أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ العربية عُنيَ بها وثابَرَ عليها وصرف همتهُ إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل، والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار....

ولعلّ مواصلتنا إحياء آثاره الدفينة سداداً لبعض الدين الذي في رقابنا، ورحم الله أبا منصور الذي صَنَّف، فأثخَف، وكتب فأَنصَف.

مكتبة هلال بن ناجي الشقاقي

وكان الفراغ من تحبيره في عام 1429هـ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النص المحقق

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

كتب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل إلى أبي سعيد الحسن بن سهل عند دخوله الحضرة بغزنة.

من أيادي الشيخ - أدام الله عزّه وأعلا أمره - عندي، وقلائد مِنْه في عُنقي، أنّه ذكرني في حال شخوصه بالطائر الأسخ، وقدومه بالطالع الأسخ، وما أنستنيه الأيام من حُرّ الكلام في أسفار السادة والكُبراء، واستقلال الركاب بهم في ضمان النجح والسرّاء، وتوديع أصاغر العافية بوداعهم، [و] في مفارقة أوليائهم العيشة الراضية بفراقهم، ومسير أنفسهم معهم وإن تأخّرت أبدانهم عنهم، وتعلّلهم أنّ الدُّنُو دُنُو النفوس لا دُنُو الشخوص، وأنّ الاعتماد على تقارب القلوب مع تباعد الجسام وتشيعهم إيتاهم بالدعاء الأحسن، والفعال الأيمن، وتشبيهِهم أنفسهم بعلم بنبت ذابل امسك قطره، وساري ليل غاب قمره، وحُسن تصرفهم في الإفصاح عن سائر الأحوال في الأسفار، وما يتّصل بها من الأطوار، ثمّ استرواحهم لما يهبّ من نسيم قريبهم، ويظهر من تباشير عودهم إلى مراكز عزّهم، كعود الحلّي إلى العاطل، والغيث إلى الروض الماحل، ووصفهم السرور (12) بقدمهم الذي فيه حياة الأمل، وصلاح الأحوال، وإياب اليُمْن والبركة بإيابهم، حتى استملت من تصحيفه (*)، مولاي الشيخ - أدام الله تأييده وعبودتي له واختصاصي به - كتاباً باسمه في السفر، وأوصافه، وآدابه، وأمثاله، وسائر أحواله، وما يتعلّق به،

(*) هكذا في الأصل.

وينخرط في سلكه، من أحسن ما تحفظته سالفاً، وتذكرته آنفاً، وأخرجته في خمسين باباً، وهذا ثبت مودعاتها على الولاء⁽¹⁾.

- 1- مدح السفر.
- 2- الاغتراب لطلب الرزق والذكر.
- 3- العزم على السفر وأخذ الأهبة.
- 4- التفاؤل للمسافر والدعاء له.
- 45- أحاسن الشعر في الدعاء للمسافر.
- 46- وداع السادة [و] الرؤساء.
- 47- وداع الأخوان والأصدقاء والأحباء.
- 48- [ذكر التشيع].
- 49- [غيبة الرؤساء والأصدقاء والأحباء].
- 50- التلاقي بالنفوس مع تباين الجسوم والتراخي بالقلوب دون العيون.
- 5- الشوق على قرب العهد ويسير الفرقة.
- 6- سائر الأحاسن في الشوق.
- 7- ذمّ الفراق.
- 8- مدح الفراق.
- 9- التزام اللوم عند الفراق.
- 10- ذم السفر.
- 11- أدب السفر.

(1) الأرقام من وضعنا وليست من الأصل، وتسلسلها هنا راعينا فيه تسلسل الأبواب في المتن، وما بين عضادتين أبواب موجودة في المتن وساقطة في هذا الثبت، فأثبتناها نقلاً عن المتن.

- 12- [أمثال السفر].
- 13- أبيات التمثيل والمحاضرة في السفر.
- 14- تدبير المسافر.
- 15- دفع ضرر المياه ورداءتها.
- 16- [الاحتراس من الحرّ وتلافي ضرره بالمسافر].
- 17- الاحتراس من السموم وعلاج ما يحدث من نكايته (2ب).
- 18- تسكين العطش ودفع مضارّه.
- 19- في تدبير المسافر في البرد.
- 20- علاج من أصابه جمود من البرد.
- 21- [حفظ الأطراف من البرد].
- 22- علاج قمر العين من كثرة النظر إلى الثلج.
- 23- علاج التعب والإعياء الشديد.
- 24- اختيار منازل العسكر.
- 25- تدبير راكب البحر.
- 26- نكت في ركوب البحر.
- 27- فقه السفر.
- 28- غزل السفر.
- 29- أحاسن ما قيل في المفاوز وأحوال السفر وذكر السراب والحرّ والمطر.
- 30- إدامة السفر وكثرة القلب في البلاد وقطع الطرق الشاقة.
- 31- التعلّل بتحسين الغربة.
- 32- ذم الغربة.

- 33- الحنين إلى الوطن.
- 34- تذكر الأيام السالفة.
- 35- إهداء السلام.
- 36- الدعاء بتيسير اللقاء.
- 37- لطائف المكاتبات بالشعر.
- 38- قرب اللقاء ووشك القدوم.
- 39- ذكر القدوم.
- 40- التهاني بالقدوم.
- 41- التهئة بالحج.
- 42- الآداب في الإياب.
- 43- زيارة القادم والتسليم عليه.
- 44- إهداء القادمين من السفر.

والله أسأل أن يعرف الشيخ من بركات هذا الكتاب الجديد ما يستغرق القرطاس والأنقاس، ويستنفذ الأقلام بل الكلام، ولا يبلغ التمام، وإن يقرن قدومه بالخيرة التامة، والسعادة الخاصة، والكفاية الشاملة، والبهجة الكاملة وأن لا يخلية في سفره، وحضره، ومقامه، (3) وظعنه، وكافة متصرفاته من الصنع الجميل، والنجح القريب، وإن يحسن إمتاعه بمحاسنه التي أصبح بها فرد عصره، ومعاليه التي حازها دون أهل دهره، وإن يوفقني للتقرب إلى حضرته، وتزجية باقي العمر في خدمته وشكر نعمته، وهذا حين سياقة الأبواب، والله تعالى الموفق للصواب.

مدح السفر

قد مدح الله تعالى المسافرين فقال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾.

وأمر سبحانه بالسفر فقال: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾⁽²⁾.

وقال عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ^ط وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁽³⁾.

وفي التوراة: "يا ابن آدم جدد لك سفراً أجدد لك رزقاً"⁽⁴⁾.
وقال النبي ﷺ "سافروا تغنموا وصوموا تصحوا"⁽⁵⁾.

(1) الآية رقم 20 سورة المزمل، 73.

(2) الآية رقم 10 من سورة الجمعة 62.

(3) الآية رقم 15 من سورة الملك 67.

(4) الحكم والأمثال: لأبي أحمد الحسن بن عبدالله العسكري ص 180، تحقيق: محمد دبوس وأحمد مهدي وعفاف عمران، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م.

(5) الحديث النبوي الشريف في كثر العمال، ج 6، ص 701، برقم (17470) برواية (سافروا تصحوا وتغنموا).

وقالت الحكماء⁽¹⁾: [السفر أحد أسباب المعاش التي بها قوامه ونظامه، لأن الله سبحانه وتعالى لم يجمع منافع الدنيا كلها في أرض واحدة، بل فرّقها في الأرضين كلها، وأخوّج بعضها إلى بعض، (ومن فضله أن صاحبه يرى من عجائب الأمصار، وبدائع الأقطار، ومحاسن الآثار، ما يزيده علماً بقدرة الله تعالى وحكمته، ويدعوه إلى شكر نعمته، ويسمع العجائب، ويكسب التجارب، والسفر يفتح المذاهب، ويجلب (3ب) المكاسب، ويشدّ الأبدان، وينشط الكسلان)، ويسلّي الثكلان، ويطرد الأسقام، ويشهّي الطعام] ويحطّ سورة الكبر، ويبعث على طلب الذّكر. ولولا السفر لبطلت التجارب والمكاسب، وانقطع الجلب والمنافع، ولما حصلت خصائص البلدان الشريفة، وما جمعت فوائد الأصقاع الغربية، وما ضمّ الرّحل في نشر الأمتعة البريّة والبحريّة⁽²⁾، [ولما عُرف عود الهند، ومسك التّبت، وعنبر الشّجر، وكافور قيصور، وماء ورد فارس، وزعفران قم، ولا استمتع ببرود اليمن، وأردية مصر، وخزوز السوس، وديباج الروم، وحرير الصين، وعمائم الابلّة، وتكك أرمينية، وجوارب قزوين، وسنّجاب خرخير، وئعالب الجزر، وسمّور البلغار، وجلود ثور البربر، وأدم الطائف، ولما ذكر نصول الروسن، وقسيّ الشاش، ورمّاح الخط، وستور شهرزور، ولما اقترح ثفّاح الشام، ورطب

(1) ما بين العضادتين أورده الثعالبي في كتابه المخطوط (أحسن المحاسن) رسالة جامعية، تحقيق: د. ياسر النهداوي، ص 438، مطبوعة بالرونيو وقطعة منه في كتاب الحكم والأمثال لأبي أحمد العسكري، ص 181، حصرتها بين قوسين مع اختلافات قليلة.

(2) ما بين العضادتين من مواد ذكرها الثعالبي في بلدان العالم المختلفة، فصل القول فيها في كتابه ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص 764-785، في باب (ما ينسب ويضاف إلى البلدان).

العراق، وسُكَّر الأهواز، وعسل أصفهان، وقانيد ماسكان، ورُمَّان الري،
وسفرجل نيسابور، وتين حلوان، وبطيخ أصفر خوارزم، وأجاص بست،
وعُتَّاب جرجان، وقشمش هرات، وكمّون كرمان، وكرويا بردعة، ولما
وصف إهليلج كابللي، وأفيتمون رومي، وسقمونيا أنطاكي، وسنا مكّي،
وطين أرميني، وشيح تركي].

وقال ابن المعتز في فصوله القصار⁽¹⁾:

(14) أَشْقَى مِنَ الْمَسَافِر مَنْ قَعَدَ فِي الْيَأْسِ.

وقلتُ في كتاب "المبهج": مَنْ أَثَّرَ السَّفَرُ عَلَى الْقُعُودِ، أَحْرَبَهُ أَنْ
يَعُودَ مُورِقَ الْعُودِ⁽²⁾.

وقال بعض الأدباء لابنه: يَا بَنِيَّ انْقَشْ فِي صَدْرِكَ وَسُودَاءَ قَلْبِكَ
قول الشاعر⁽³⁾:

فَإِذَا فِي بِلَادِ اللَّهِ وَالْتَمَسَ الْغَنَى نَعِشْ ذَا يَسَارٍ أَوْ تَمُوتْ فَتَعْذُرَا

(1) الفصول القصار لابن المعتز، كتاب مفقود من كتبه جمع منه الدكتور يونس السامرائي ما استطاع الوقوف عليه ونشره في كتابه الموسوم بـ (من فصول ابن المعتز ورسائله)، بغداد، 2002، وليس بينها النص المذكور.

(2) النص للثعالبي في كتابه الموسوم بـ (المبهج)، ص 93، تحقيق الأستاذ إبراهيم صالح، دمشق، 1999، وروايته: فاخر.

(3) البيت دون عزو في كتاب الحكم والأمثال للحسن العسكري ص 182، وفي اللطائف والظرائف، ص 91 جاء بعده:

ولا ترضَ من عيش بدونٍ ولا تُنم وكيف ينام الليلَ من كان معسراً

ولا تنس قول حاتم الطائي وهو من الأمثال الصائرة عن الأبيات
السائرة:

إذا لزم الناس البيوتَ وجدَّتهمْ عماءُ عن الأخبارِ خرَّقَ المكاسبِ⁽¹⁾
ولك أسوةٌ في قول البحري:

وإذا الزمانُ كساكَ حُلَّةَ مُعَدَمٍ فألْبَسَ لها حُلَّ النوى وتُغْرِبِ⁽²⁾
وقدوة بمن قال:

ليس ارتحالُكَ في كَسْبِ الغنى سَفْراً بل المقامُ على فقرٍ هو السَفَرُ⁽³⁾

(1) البيت لحاتم الطائي في ديوانه، ص 30، ورواية صدره: إذا أوطن القومُ، ص 7.

(2) البيت للبحري في ديوانه، ج 1، ص 79 من قصيدة مدح بها مالك بن طوق.

(3) البيت دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 91، وروايته: تزداد الغنى، على بؤس.

الاغتراب والاضطراب لطلب الرزق والذكر

من أحسن ما قيل في ذلك قول البرقي⁽¹⁾:

قنوعاً به ذلةً في العباد ⁽²⁾	[رأيتُ المقام على الاقتصاد
فما الحظُّ في الأدبِ المستفادِ	إذا ما الأديبُ ارتضى بالخمول
به رزقه بينَ وسع البلادِ	وعجز بذِي أدبٍ أن يضيق
..... ⁽³⁾	وما عَرُبَ الرزقُ عن طالبٍ
حوى غيره الفضل يوم الجلال	إذا صارم قرُّ في غمده
منال المنى وبلوغ المراد	وفي الاغتراب وفي الاضطراب
لما ذَكَرَ اللهُ فضلَ الجهادِ	ولو يستوي بالقعود النهوض
ففسحَتْها في قِراع الزناد ⁽⁴⁾	إذا النارُ ضاقَ بها زُنْدُها
(4ب)	

(1) هو علي بن محمد الورزني البرقي صاحب الزنج، صاحب الثورة المعروفة. قتله الموثق

العباسي بعد سنوات من الحروب، جمع شعره أحمد جاسم النجدي ونشره في المورد.

(2) البيت بين عضادتين استضافناه من مجموع شعره المنشور في المورد، المجلد الثالث، العدد الثالث، 1974، بغداد، تحقيق أحمد جاسم النجدي.

(3) عجز البيت الثالث ساقط في الاصل المخطوط، وكتب الصدر في هامش النص.

(4) الأبيات 4، 5، 7، له في مجموع شعره المنشور في المورد مع اختلاف يسير، والبيتان الرابع والخامس له في اللطائف والظرائف، ص 92، ورواية الخامس: وفي الاضطراب وفي الاغتراب، والأبيات 1، 2، 3، أخلّ بها مجموعة الشعري والمفردات بها مجموعتنا.

وأحسن ما قيل في القناعة وذمها قوله⁽¹⁾:

رأت عَزماتي وفرط انكماشِي	وطول التَّمْلُلِ فوقَ الفراشِ
فقالَت: أراك أخاً هَمَّةِ	ستبُلُعُها فُتْرِي ذا انتِعاشِ
فَهَلْ أَقْمَتَ ولم تُعْثَرْبِ	فقلتُ: القناعة طَبَعُ المَواشِي

وأحسن ما قيل في الحث على الاغتراب قول القاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني⁽²⁾:

إذا ما ضِيقَتْ في أرضٍ فدَعِها	وحُثَّ اليَعمَلاتِ على وجاها
ولا يَغْرُزْكَ حَظُّ أخيك منها	وقد خابت يَمِينُكَ من جَداها
ونفْسُكَ فُزْ بها إن خفتَ ضَيْماً	وخلَّ الدارَ تحزن من بكاها
فإنَّكَ واجِدٌ أرضاً بأرضٍ	ولست بواجِدٍ [نَفْساً] سواها

وقال بعض المهالبة لابنه: يا بني، إنَّ القَعودَ عن طلب الرزق وحسن الذكر من أخلاق العجائز، والبركات في الحركات، وقد نُصَحَ من قال:

خاطرُ بِنفْسِكَ كي تُصِيبَ غَنيمةً أنْ الجُلوسَ مع العِيالِ قَبِيحُ

(1) الأبيات للبرقي البصري الورزني، في ريجانه الألباء للخفاجي، ج2، ص 315، ورواية صدر الأول، وطول انكماشِي.

(2) الأبيات الأربعة أحلَّ بها ديوانه صنعة الأستاذ سميح إبراهيم صالح، دمشق، 2003، وديوانه صنعة عبد الرزاق حويزي، القاهرة، 2003.

وقال بعض الحكماء: "أهجر وطنك إذا نبت عنه نفسك، وأوحش اهلك
إن كان في وحشتهم أنسك"⁽¹⁾.
وقال بعضهم⁽²⁾:

أرى وطني كعش لي ولكن أسافر عنه في طلب المعاش
ولولا أن كسب القوت فرض لما برح الفراخ من العشاش

وأحسن منه قول أبي فراس⁽³⁾: (15).

والمرء لي بكاسب في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكرو
وقلت في كتاب المبهج: "إذا نبا بك بلدك فاستعر خافية الغراب في
الاغتراب، وقادمة العقاب في اقتحام العقاب، فربما أسفر السقر عن
الظفر، وتعذر في الوطن قضاء الوطر"⁽⁴⁾.

(1) النص لبعض الحكماء في اللطائف والظرائف، ص 93.

(2) البيتان دون عزو في اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيء وذمه، تحقيق محمد جاسم

الحديثي، ص 318، وهما للطريفي في اللطائف والظرائف، ص 92.

(3) البيت في ديوان أبي فراس الحمداني، ج 2، ص 195، وروايته ليس ببالغ.

(4) المبهج للثعالبي، ص 93.

وقلتُ: "إذا أزمعتَ على السفر، فَسَلِّ الله تعالى تسهيل العسير
وتيسير اليسير".⁽¹⁾

كتابي وأنا سائر العزيمة، ناهض النية، ومسافر الهم والعقيدة
وفصل للبديع الهمداني: "أقام على حالة لو قصرَ فيها الصلاة لجاز، فيوماً
بعدَ الجهاز، ويوماً يلتبسُ الجواز".

أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا
 أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ
 مِنْ مُنَادٍ وَمِنْ مُجِيبٍ وَمِنْ ثَمَدٍ
 هَالٍ خَيْلٍ خِلَالِ ذَاكَ رُغَاءُ

(2) البيتان للمحارث بن حلّوة، في شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس. من معلقة ص

562-563، ورواية الأول: أمرهم بليل.

ومن إحسان البحري المشهور قوله لأبي نهشل يودّعه⁽¹⁾:
(5ب)

يا أبا نهشل نداء مقيم	ظاعن بين لوعة ورسيس
فقدك المرء يا ابن عمي أبكا	ني لا فقد زنبور وليس
ما ثراب العراق بالعنبر الور	د ولا ماء دجلة بمسوس

المسوس: ماء الحيوان يجي من مسّه.

غير أنني مُخَلَّفُ منك في آ	خر بغداد فضل علق نفيس
فسلام على جنابك والمنـ	هل فيه وربك المأنوس
حيث فعل الأيام ليس بمذمو	م ووجه الأيام غير عبوس

واحتذى على تمثيله فجري في طريقه السريّ [الرفاء] الموصلي
حيث قال⁽²⁾:

لَحِظْتُ عَزَمَتِي الْعِرَاقَ فَسَلْتُ	هَمَّتِي بِالرَّحِيلِ سَيْفَ اعْتِزَامِي
فَسَلَامٌ عَلَى جَنَابِكَ وَالْمَنـ	هَلِّ وَالظِّلِّ وَالْأَيَادِي الْجِسَامِ

(1) الأبيات للبحري من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 1141. رواية صدر الأول: وداح مقيم.

(2) الأبيات للسري الرفاء الموصلي من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 694.

التفاؤل للمسافر والدعاء له

على الطائر الأسعد والجدّ الأرشد
الإقبالُ صاحبك وصنّعُ الله مُصاحبك
النجاحُ زميلك، والصنعُ نزيلك

في ظلّ الإقبال، وكنف ذي الجلال، على أيمن فالٍ، وأحمده،
وأسبح طائرٍ وأسعده.

كان النبي ﷺ إذا ودّع مسافراً من أصحابه قال له: "زودك الله
التقوى، وأعانك على الهدى، ويسّر لك الخير حيث ما سرت، استودع
الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك" (1) (16).

وقال أبو العيناء يودّع بعض الوزراء: "استخلف الله عليك
واستخلفه منك" (2).

ابن عباد: "طوى الله لك البعيد، ولقّاك العيش السعيد،
وأصحبك السلامة غائباً، والغنيمة آيياً".

وقال آخر: "وصل الله لك حالي السكون والحركة باليمن
والبركة".

(1) دعاء الرسول ﷺ موزع في عدة أحاديث ضمّها (كُنزُ العمال) في الأرقام (17478، 17479،

17481) وقريب منه قول الرسول ﷺ لرجل: قال له أنه يريد سفراً، فقال له: في حفظ الله
وكنفه، زودك الله التقوى، ووجهك الله حيث كنت: الشوق والفراق، ص 49.

(2) النص في الشوق والفراق، ص 459، باختلاف يسير.

وقال آخر: "لا زال سيدي في حُضْرِهِ صدرِ الحفل، وفي سَفَرِهِ قلبُ
الموكب.

وكتب أبو إسحاق الصابي: "طوى الله لمولاي بساطَ الأرض
حتى يدنو بَعِيدُهَا، ويلين شَدِيدُهَا، وتبين مُتُونُهَا، وتسهل حَزُونُهَا".
وكتب الوزير المهلب: "لا زلتَ في إقامة مُمَهَّدَةٍ".
ولغيره:

لئن حالت الأسفارُ دونَ لقائنا فنحن بعينِ الفكرِ مُلتقيانِ
ثُصُورُ في قلبي لفرطِ صبابتي كَأَنَّكَ لي نَصَبٌ بكلِّ مكانِ

وقال ابن المعتز⁽¹⁾:

إِنَّا عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّفَرُّقِ لَنُلْتَقِيَ بِالذِّكْرِ إِن لَّمْ نَلْتَقِ

أبو الطيب المتنبي⁽²⁾:

أَيُّدِي الرِّبْعِ أَيُّ دَمِ أَرَاقَا وَأَيُّ قُلُوبِ هَذَا الرِّكْبِ شَاقَا
لَنَا وَلِأَهْلِهِ أَبَدًا قُلُوبٌ تَلْقَى فِي جُسُومِ مَا تَلْقَى

(1) البيت لابن المعتز في ديوانه، ج 1، ص 487، من قصيدة مدبح.

(2) البيتان للمتنبي في ديوانه، ص 289، من قصيدة.

الشوق على قرب العهد ويسير الفرقة

الصاحب بن عباد: "قد تحملتُ مع يسير الفرقة عظيمَ الحرقه،
ومع قليل البعد (6ب) كبيرَ الوجد، حتى انشيتُ بجسم ناحل، وبتُ من
صبري على مراحل". "ما فارقتك بعيداً حتى أصحبتك من نفسي فريقاً،
ولا سرتُ ميلاً حتى مال صبري جميعاً".
ويقال: إن اغزل بيت قاله ملك، قول يزيد بن معاوية⁽¹⁾:

إذا سِرْتُ ميلاً أو بَغَيْتُ حمّامة دعني دواعي الحبّ من أمّ خالد⁽²⁾

ولبعض العرب وهو ممّا يُتمثّل به كثيراً:

أشوقاً ولما تَمُض لي غيرُ ليلةٍ فكيف إذا سار المطيُّ بنا عشراً

(1)

يزيد بن معاوية: ثاني الملوك والأمويين، في أيامه كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الحسين بن علي سنة 61هـ وفي سنة 63هـ استباح المدينة المنورة ثلاثة أيام وقتل فيها كثيراً من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين توفي بجوارين من أرض حمص، كان ميالاً إلى اللهو، وله ديوان مطبوع، واليه ينسب نهر في دمشق، الأعلام: 244-245/9.

(2)

البيت ليزيد في ديوانه، ص 39، نشره د. واضح الصمد، دار صادر، بيروت، 1998، ورواية الصدر: أو تخلّفت ساعة.

سائر الأحاسن في الشوق

فُصول البلغاء العصريين: "الشوقُ إليك سمير ذكري، ونجِّي
فكري، وزادي في سفري، وعتادي في حضري".
"شوقُ جرح جوانحي وجنح على جوارحي".
"شوقِي براني بري الخلال ومحفني محق الهلال".
أنا اشتاقك اشتياق الروض الماحل إلى الغيث الهاطل".
لشاعر:

أني وإن طال وصفي غيرُ بالغ ما يحلّ بي يا أخي من شدة الشوقِ
أنّ الفراق له كأسٌ مرارتها تحكي مرارة كأس الموت في الذوقِ

وللقاضي عبد العزيز الجرجاني⁽¹⁾:

فديتكَ ما شوقي كشوقِ عَرَفْتُهُ ولا ذا الهوى من جنس ما كنت أعهدُ
(17) فلا ينكر التخليد في النار عاقلُ فأنّي في نارِ الغرامِ مُخلَّدُ

ومن [ال] شعر الخفيف الروح:

لعمرك ما عيشةٌ عَذْبَةٌ عليّ إذا غبتَ بالراضيةِ
وأنّي إلى وجهك المستني ر في ظلمة الليلة الداجيةِ
لأشوقُ من مُدنفٍ خائفٍ لقاء الحِمام إلى العافيةِ

(1) البيتان لعبد العزيز الجرجاني في ديوانه، ص 65، صنعة سميح إبراهيم صالح.

ذم الفراق

كان يقال: "ما خُلِقَ الفراق إلا لتعذيب العشاق"⁽¹⁾.
وقال بعضهم: "فراق الأحباب سقام الألباب"⁽²⁾.
وقال آخر: "حق الفراق أن تطير له القلوب، وتطيش معه العقول، وتطيح منه النفوس"⁽³⁾.
وقال آخر: "فراق الحبيب يُشيب الوليد، ويذيب الحديد"⁽⁴⁾.
وقال آخر: "هول السياق أهون من الفراق"⁽⁵⁾.
وقال النّظام: "لو كانت للفراق صورة لراعتُ القلوب ولهدت الجبال، ولجمر الغضا أقلّ توهّجاً من ناره، ولو عذب الله أهل النار بالفراق لاستراحوا إلى ما قبله من العذاب"⁽⁶⁾.
وقال الشاعر⁽⁷⁾:

لو كان مالكُ عالماً نجوى الهوى وفعاله بأضالعِ العشاقِ
ما عذب الكفار إلا بالهوى فإذا استخاثوا غائهم بفراقِ

(1) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(2) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(3) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(4) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(5) النص دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94.

(6) النص للنّظام في اللطائف والظرائف، ص 94، وروايته: أهون توهّجاً.

(7) البيتان دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 94، وروايته: لو أنّ مالك عالم يجدى الهوى.

وقال أبو تمام⁽¹⁾: (7ب)

يَوْمَ الْفِرَاقِ لَقَدْ خُلِقْتَ طَوِيلًا لَمْ تُبْقِ لِي جَلْدًا وَلَا مَغْقُولًا
لَوْ جَارَ مَرْتَادُ الْمَنِيَةِ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ الْفِرَاقِ إِلَى النُّفُوسِ دَلِيلًا
أَنْظُرْنِي أَحِذِ السَّبِيلَ إِلَى الْعِزَا وَجَدَ الْحِمَامُ إِذَا إِلْسِي سَبِيلًا

وقال المتنبي⁽²⁾:

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا

وقال أحمد بن إبراهيم الضبي⁽³⁾:

لَا تَرْكُزْنِي إِلَى الْفِرَاقِ قِي فَائِلُهُ مُرَّ الْمَذَاقِ
وَالشَّمْسُ عِنْدَ مَغْيِبِهَا تُصَفِّرُ مِنَ أَلَمِ الْفِرَاقِ

(1) الأبيات لأبي تمام في ديوانه، ج 3، ص 66، من قصيدة مدح بها نوح بن عمرو، ورواية الثاني:

لَوْ حَارَ مَرْتَادُ الْمَنِيَةِ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النُّفُوسِ دَلِيلًا

(2) البيت للمتنبي في ديوانه، ص 17.

(3) البيتان لأحمد بن إبراهيم الضبي في كتاب الحكم والأمثال، ص 696، وله أيضاً في يتيمة الدهر، 334/3، وفي اللطائف والظرائف، ص 94، وحرف فيه الضبي إلى الضبعي، ورواية صدر الثاني في كتاب الحكم: والشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا، وأحمد بن إبراهيم الضبي (ت 398هـ)، وزير فخر الدولة البويهية له شعر، لُقِّبَ بالكافي الأوحَد، مات في بروجرد معتزلاً الوزارة، ودفن في كربلاء، الأعلام: 83/1.

مدح الفراق

قال بعض السلف الظرفاء⁽¹⁾: "في الفراق مصافحة التسليم، ورجاء الأوبة، والسلامة من الملل، وعمارة القلب بالشوق، والأنس بالمكاتبه".

وقال أبو تمام⁽²⁾:

ألفه النجيب كم افتراق أظل فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الأوبات إلا لموقف على برج الوداع

وكتب بعض الكتاب⁽³⁾: "جزى الله الفراق خيراً، فإنما هو زمرة وعبرة، ثم اعتصام وتوكل، ثم تأميل وتوقع، وقبَّح الله التلاقي فإنما هو مسرة لحظة، ومساءة أيام، وابتهاج ساعة، واكتئاب زمان".
وكتب آخر⁽⁴⁾: "أني لأكره الاجتماع ولا أكره الافتراق، لأن مع الاجتماع محاذرة الافتراق، وقصور السرور [ولأن] مع الفراق (18) غمة يخففها توقع إسعاف النوى، وتأميل الأوبة والرجعى".

(1) النص دون عزو في اللطائف ص 92.

(2) البيتان لأبي تمام في ديوانه، ج 2، ص 336، ورواية عجز الثاني: على ترح.

(3) النص دون عزو في كتاب الحكم والأمثال للماوردي ص 195 مع اختلاف، ونسب النص

لأبي عبدالله الزنجي في تحسين القبيح وتقييح الحسن، ص 44.

(4) نسب النص لأحمد بن سعد في تحسين القبيح، ص 44.

وقال بعضهم^(١):

ليس عندي شحط النوى فيه غمٌ بل لنا فيه كشف كلِّ الهموم
من يكن يكره الفراق فإني أشتهيه لموضع التسليم
أنَّ فيه اعتناقةً لوداعٍ وانتظار اعتناقةً لقدم

وقال بعض الصوفية^(٢): لو قلتُ إني لم أجد للرحيل الماءَ وللبين
حُرقةً لقلتُ حقاً، لأنِّي نلتُ من اللقاء أنسَ العناق ما كان معدوماً أيام
الاجتماع.

ومَّا يليقُ بهذا المعنى في هذا الباب قول البحري^(٣):

وأحسنُ بنا والدمعُ بالدمعِ واشجَّ يمازجُه، الخدُّ بالخدِّ مُلصقُ
وقد ضَمْنَا وَشكُّ التلاقي وَلَفْنَا عناقٌ على أعناقنا ثمَّ ضَيِّقُ
فلم نرَ إلَّا مُخبراً عن صَبَابَةٍ يشكوى، وإلاَّ عبرةً تترْفَرُقُ
ومن قُبَلٍ قُبَلِ التَّشَاكِي وَبَعْدَةٍ تكادُ بها من شِدَّةِ اللُّثْمِ تُشْرِقُ
فَلَوْ فَهَمَ النَّاسُ التَّلَاقِي وَحُسْنَهُ لَحُبِّبَ من أَجْلِ التَّلَاقِي التَّفَرُّقُ

(١) في تحسين القبيح نسب الشعر لمحمد بن أبي محمد اليزيدي، ص 44، ورواية عجز البيت الثاني: للذة التسليم.

(٢) النص دون عزو في الطائف والظرائف، ص 932، وفي تحسين القبيح، 44، وروايته أيام التلاق.

(٣) المقطعة للبحري في يوانه، 535/3، يمدح المعتز بالله، رواية العجز الرابع: من شدة الوجد ورواية الأولى فاحسن..... تمازجه، ص 19

وقال آخر⁽¹⁾:

آه من حَرِّ دَمْعَةِ الْعُشَّاقِ ما أَلَدَّ الْبُكَاءُ عِنْدَ الْفِرَاقِ
لَذَّةُ الدَّمْعِ عِنْدَ بَيْنِ حَيِّبٍ كاعتناق الحبيب عند التلاقي

⁽¹⁾ البيتان دون عزو في الحكم والامثال، 195-196، ورواية العجز الأول، ما ألدَّ البكاء وقت
الفراق، وفي اللطائف، ص 94.

التزام اللوم عند الفراق

من أحسن ما قيل في ذلك قول بشار⁽¹⁾: (8ب)

تطوي المنازل عن حبيبك دائماً وتظل تبكيه بدمع ساجم
هلاً أقمت ولو على جمر الغضا قُلبت أو حدّ الحسام الصارم

وقال آخر:

أرحل طوع النفس عمّن تحبه وتبكي كما يبكي المفارق عن قهر
أقم لا تسر والهّم عنك بمعزل ودمعك باقٍ في جفونك لا يذري

وأملح منه قول اليزيدي⁽²⁾:

ما مسيري ومن أحبّ مقيم خطرٌ والآله عندي عظيم
أنا مستيقنٌ بأنّ مسيري ومقام الحبيب لا يستقيم

(1) أخلّ بهما دواوينه وشرح المختار من شعر بشار للخالدين.

(2) أخلّ بهما ديوان اليزيديين، تحقيق محسن غياض.

في الحديث المرفوع: "إِنَّ الْمَسَافِرَ وَمَتَاعَهُ عَلَى قَلْتٍ إِلَّا مَا وَقَى اللَّهُ⁽¹⁾."

(على قلت) : أي على هلاك.

وقيل لبعض الحكماء⁽²⁾: "إِنَّ السَّفَرَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ"، فقال: بل العذاب كُلُّهُ قِطْعَةٌ مِنَ السَّفَرِ، وَنَظَّمَهُ مِنْ قَالَ:

كُلَّ الْعَذَابِ قِطْعَةٌ مِنَ السَّفَرِ يَا رَبَّ فَارِدِدْنِي إِلَى رِيفِ الْحَضَرِ⁽³⁾

وكان الحجاج يقول⁽⁴⁾: "لَوْ لَا فَرَحَةُ الْإِيَابِ لَمَا عَذَّبْتُ أَعْدَائِي إِلَّا بِالسَّفَرِ".

وقال بعض الحكماء⁽⁵⁾: "السَّقَمُ وَالسَّفَرُ وَالْقِتَالُ أَثْلَاثُ مُتَقَارِبَةٍ، السَّفَرُ سَفِينَةُ الْأَذَى، وَالسَّقَمُ حَرِيقُ الْجَسَدِ، وَالْقِتَالُ (19) مُنْبِتُ الْمَنَاءِ". وقال آخر⁽⁶⁾: "السَّفَرُ مُتَعَبٌ مَكْرَبٌ، وَالْحَدِيثُ يَقْصَرُهُ، وَيَسْلِي كَرْبُهُ".

وقلت في كتاب المبهج⁽⁷⁾: "رُبَّ سَفَرٍ كَتَصْحِيفَةٍ يَعْنِي سَقَرٌ".

(1) الحديث النبوي الشريف في اللطائف والظرائف، ص 91. وهو كذلك في التمثيل والمحاضرة، ص 401

(2) النص دون عزو في الحكم والأمثال 182.

(3) البيت دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 91. وهو أيضاً دون عزو في الحكم والأمثال للعسكري، ص 182. وهو أيضاً في التمثيل والمحاضرة، ص 401.

(4) النص للحجاج في اللطائف، ص 91.

(5) النص دون عزو في: الحكم والأمثال، ص 182، وفي اللطائف والظرائف، ص 91، والتمثيل والمحاضرة، ص 401.

(6) النص في اللطائف والظرائف، ص 91، وفي الحكم والأمثال، ص 183.

(7) النص للثعالبي في المبهج، ص 93.

أدب السفر

أبو صالح عن أبي هريرة، قال: كان أحب الأيام إلى رسول الله ﷺ أن يسافر فيه يوم الجمعة، لقول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ﴾⁽¹⁾.

وقال بعضهم: الانتشار في الأرض يوم السبت غير نافع.
عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً صلى في بيته ركعتين قبل أن يخرج، ثم إذا ركب كبر ثلاثاً، ثم قال: ﴿ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾⁽²⁾ ﴿ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾⁽³⁾، ثم قال: "اللهم إني أسألك البر والتقوى ومن العمل ما تحب وترضى"⁽⁴⁾، "اللهم هون علينا السفر وأطو لنا بعد الأرض"⁽⁵⁾، "اللهم إني أسألك الصحبة في السفر، والخلافة في الأهل والمال والولد"⁽⁶⁾.
وعنه ﷺ أنه كان يقول⁽⁷⁾: "اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، والخور بعد الكدر، وسوء المنظر في الأهل والمال".

(1) الآية رقم 10 سورة الجمعة رقم 62 م.

(2) الآية 13 ك سورة الزخرف، 43.

(3) الآية 14 ك سورة الزخرف، 43.

(4) جزء من حديث ورد في كتاب المناسك من صحيح مسلم.

(5) منه الحديث رقم (17545) كثر العمال.

(6) في كتاب الترمذي والنسائي وكتاب ابن ماجه بالأسانيد الصحيحة أن النبي ﷺ قال: اللهم

أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، ينظر: الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار لأبي زكريا النووي، ص 198.

(7) ينظر الحديث رقم (17536) كثر العمال وهو في كتاب المناسك من صحيح مسلم.

ومن دعائه ﷺ إذا دخل قرية: "اللهم ربّ السموات وما أظللن، وربّ الأرضين وما أقللن، نسألك خيرَ هذه القرية (9ب) وخيرَ أهلها، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها"⁽¹⁾.

ويُروى أنّ رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: "يا رسول الله إني أريد سفراً فأوصيني. قال له: "أوصيك بتقوى الله والتكبير عند كل شرف"⁽²⁾.
وعنه ﷺ أنه إذا نزل منزلاً كان يقول: "اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خيرَ المنزلين، ثم يقول: أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق وذراً وبرا"⁽³⁾.

وكان النبي ﷺ يكره السفر في المحاق.
وعن بعض السلف: لا تسافروا والقمر في العقرب.
وقال المرادي للأمير نوح بن نصر⁽⁴⁾:

قل لأمير الشرق وانصَحْ له وما على الناصح من معتبٍ
لا تخرج الاثنين في وجْهَةٍ والقمرُ الناقصُ في العقربِ

(1) وجاء في الرحيق المختوم نقلاً عن سنن النسائي: أن النبي ﷺ إذا رأى قرية لم يرها وأراد دخولها قال: "اللهم ربّ السموات السبع وما أظلللت والأرضين السبع وما أقللن، وربّ الشياطين وما أظللن وربّ الرياح وما ذرين، أسألك خيرَ هذه القرية وخيرَ أهلها، وخيرَ ما فيها، ونعوذ بك من شرّها وشرّ أهلها وشرّ ما فيها.

(2) ورد في كتاب (الرحيق المختوم) لصفي الرحمن المباركفوري، ص 200، ما نصّه: "ورد في كتاب الترمذي أن الرسول ﷺ قال موصياً أحدهم: "عليك بتقوى الله تعالى، والتكبير عند كل شرف".

(3) الحديث الشريف في الترمذي برقم (3437)، كتاب الدعوات.

(4) هو أبو الحسين محمد بن محمد المرادي شاعر بُخارى، وممدوحه الأمير نوح بن نصر بن أحمد أمير بخارى، له شعر في البيتمة، 74/4-76.

وفي الخبر⁽¹⁾: "راكبُ الفلاة وحده شيطان، والاثنان شيطانان،
والثلاثة سفرٌ، والأربعة صُحبة، والخمسة رفقة.
يقال: الطلاقة في السفر من أخلاق الكرام، وكذلك قال [شاعرٌ]
في المهلب⁽²⁾:

تزيده الحربُ والأهوال إن حضرتُ عَزَماً وَحَزَماً وَيَجْلُو وجهه السَفَرُ
وأنشد للعطوي⁽³⁾:

أكرم رفيقك حتى ينقضي السفرُ أن الذي أنت مولاه سيتشرُّ
ولا تكن كلئام أظهروا ضَجْراً أن اللثام إذا ما سافروا ضجروا
(10↑)

وقال نصر بن سيار لرجل من أصحابه أراد سفرًا⁽⁴⁾: "إياك أن
تسير شبراً في الأرض وأنت حافٍ لاسيما في الليل، وإياك أن تبول في
نفق من الأرض، وإياك أن تأكل شيئاً حتى تذوقه وتعرفه، وإياك أن

(1) ورد الخبر في كنز العمال، 710/6، بالصيغة التالية: الراكب شيطان والراكبان شيطانان،
والثلاثة ركب.

(2) في الأصل المخطوط (قال المعتز في المهلب) وهو كلام لا يستقيم تاريخياً، فابدلنا كلمة (المعتز)
بلفظة (شاعر)، والمهلب هو القائد العربي الشهير: المهلب بن أبي صفرة الأزدي.

(3) البيتان للعطوي في مجموع شعره، صبعة: د. محمد جبار المعيد رحمه الله، مجلة المورد، العدد
(1-2) المجلد الأول، 1971، رواية عجز الأول في ديوانه: أنت موليه.

(4) ينظر الخبر في كنز العمال، 17557. ونصر أمير كان شيخ مضر في خراسان وولي بلخ
وخراسان، غزا ما وراء النهر وغنم مغام كثيرة وأقام بمر و مات بساوة، كان خطيباً وشاعراً
وله ديوان مطبوع، الأعلام: 341/8.

تستصحب من لا تعرفه أو تسترسل إلى من تنكره، وإياك أن تنفرد عن
الرفقة وإن تسير بلا سلاح ولو عصا، وإياك أن تبخل في سفرك ببسط
سفرك".

وقال بعض الحكماء⁽¹⁾: لا تراققن في السفر أكثر نشباً منك، إن
ساوَيْتَهُ في النفقة أضربك، وإن تفضّل عليك استذللت به.

(1) لم أظفر بتخرجه.

أمثال السفر

الرفيق ثم الطريق⁽¹⁾.
 البركة في الحركة⁽²⁾.
 أوغلوا برفقٍ فإنَّ المُنْبَتَّ لا أرضاً قطعَ ولا ظهراً أبقى⁽³⁾.
 شرَّ السيرِ القحقة⁽⁴⁾.
 السالم سريع.
 طول السفر ملاكة وكثرة المنى ضلالة.
 الفرقة حرقه والغربة كربة والنقلة مثله⁽⁵⁾.
 لئن تمشي وتدوم خير منان تعدو وتقوم.
 بطيب عشرة الرفيق تخفّ مشقة الطريق.
 الصحبة في السفر قرابة.
 سافروا بالجمال البذل فان نقلت وإلا دلت على السُّبُل.
 من سار مار ومن جال نال.

(1) المثل في مجمع الأمثال للميداني برقم 1609.

(2) المثل في (أمثال الخوارزمي)، ص 37، وروايته: الحركة بركة.

(3) المثل في (المستقصى)، ج 1، ص 410، وروايته: أن المُنْبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى قيل
 قاله النبي صلى الله في ذم الغلو.

(4) المثل في (المستقصى)، ج 2، ص 129، والحققة: هي إسراع السير وعسفه، يضرب في ذم
 الإفراط وفي مخطوطتنا (القحقة: وهي تردد الصوت في الخلق، ويقال لضحك القرد
 القحقة، وهي عندما محرفة والصواب: الحققة لأنها نوع من السير.

(5) المثل في (كتاب التمثيل والمحاضرة)، ص 401، بالصيغة التالية: الغربة كربة، والنقلة ذلة،
 والنقلة مثله.

من يثقل ينقل، ومن سعى رعى، ومن نام لزم الأحلام.
السفر ميزان القوم⁽¹⁾.

إنما سُمِّي السفر سفراً لأنه يسفرُ عن أخلاق الناس، وفي كتاب
(10ب) المبهج: "لا تكوننَّ ضرورة إلا عن ضرورة"⁽²⁾.
وفيه: "طوبى لمن كانت له حجة في كلِّ حجة"⁽³⁾.

(1) المثل في كتاب الميداني برقم 1851.

(2) الضرورة: من لم يحجَّ قط، وقيل: من لم يتزوج ولم يأت النساء.

(3) لم أظفر به في المبهج.

أبيات التَّمَثُّلِ والمحاضرات في السفر وما يتعلَّق به

تمثَّل عبد الملك بن مروان ببيت الآخر:

أفي الطوف خفتِ عليَّ الردى وكم من ردِّ أهله لم يُرم

وتمثَّل المنصور في سفر بهذا البيت:

لعمرك ما يدري المسافرُ هل له يلاعُ وما يدري متى هو راجعُ

أراد الخطيئة سفرًا، فلمَّا أراد الركوبَ قالت له امرأته: متى
الرجوع؟ فأنشأ يقول:

عُدِّي السنين وإذا ارتحلتُ لرجعتي وذري الشهورَ فاتهنَّ قصارُ

فقالت على البديهة:

أذكرُ صبابتنا إليك وشوقنا واذكر بناتك إنهنَّ صغارُ

فحطَّ رَحْلةً ولم يخرج⁽¹⁾.

وتمثَّل الزبير بن بكار بهذا البيت وقد عزم على السفر:

(1) الخبر لأعرابي في كتاب الحكم والأمثال للحسن بن عبدالله العسكري، ص 79-80، ورواية صدر الأول: لغيتي وتضرعي ورواية رد زوجته: اذكر صباحتنا، وارحم بناتك.

يُقيم الرجال المكثرون بأرضهم وترمي النوى بالمقترين المواميا

وكان أبو نواس ينشد قوله وهو بمصر⁽¹⁾:

إذا ذكرت بغداد لي فكأنما تحرك في قلبي شباة سينان
وأوبئة مُشتاقٍ بغير دراهم إلى أهله، من أعظم الحداثِ

لما خطب السفاح الناس أول خطبة سقط القضيب من يده،
فتطير فيه، فأخذه رجل ومسحه بكمه وناولهُ إيّاه، وتمثل بقول الشاعر⁽²⁾:
(111)

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قرء عينا بالإياب المسافرُ

فسُري عنه وسُرّ به. ولما نزل أمر له بألف دينار.
وكان ابن عائشة القرشي يُنشد في أسفاره⁽³⁾:

إذا أنت رافقت الرجال فكُن فتى كائك مملوك لكل رفيق
وكن مثل طعم الماء عذباً وبارداً على الكبد الحرى لكل صديق

(1) لم أظفر ببقي أبي نواس في طبعتي ديوانه: طبعة الغزالي بمصر وصنعة بهجت الحديثي ببغداد.

(2) لم أقف عليه.

(3) ابن عائشة القرشي (ت 228هـ) عبدالله بن محمد بن حفص بن معمر التيمي عالم بالحديث والسير أديب من أهل البصرة، حدث ببغداد سنة 219هـ عُرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبدالله التيمي، الأعلام: 353/4.

وأنشد أبو الحسن الحسيني الهمداني الوصي رحمه الله يوم رحيله
من نيسابور إلى بخارى للعباس بن الأحنف⁽¹⁾:

أَقَمْنَا مُكْرَهِينَ بِهَا فَلَمَّا أَلْفَنَاهَا خَرَجْنَا كَارْهِينَا
وَمَا حُبَّ الْبِلَادِ بِنَا وَلَكِنْ أَمْرُ الْعَيْشِ فُرْقَةٌ مِنْ هَوِينَا

وأنشد أبو بكر الخوارزمي:

تَقُولُ سُلَيْمَى لَوْ أَقَمْتَ تَسْرُنَا وَلَمْ تَدْرِ أَنِّي لِلْمَقَامِ أَطُوفُ⁽²⁾

وأنشد أيضاً:

وَكُنَّا فِي اجْتِمَاعٍ كَالثَرِيَا فَصَرْنَا فُرْقَةً كَبَنَاتِ نَعَشٍ⁽³⁾

وأنشد ابن أبي عون الكاتب:

رَمَى الْفَقْرُ بِالْفَتَيَانِ حَتَّى كَانَهُمْ بِأَطْرَافِ آفَاقِ الْبِلَادِ نَجُومٍ⁽⁴⁾

(1) البيان للعباس بن الأحنف في ديوانه، ص 280-281، رواية عجز الأول: مكرهينا، ورواية صدر الثاني: وما شغف البلاد.

(2) البيت دون عزو في الحكم والأمثال، ص 183، ولم ينسبه الخوارزمي لنفسه وإنما أنشده.

(3) لم ينسبه الخوارزمي لنفسه ويخالفني شك في نسبه إليه.

(4) البيت دون عزو في كتاب تشبيهات ابن أبي عون، ص 337.

وأنشد أبو الفتح البستي لنفسه⁽¹⁾:

لئن تنقلتُ من دارٍ إلى دارٍ وصرتُ بعد ثواءٍ رهناً أسفارٍ
(11ب)

فالحرُّ حرٌّ عزيز النفس حيث ثوى والشمسُ في كُلِّ برجٍ ذاتُ أنوارٍ

وأنشد أيضاً لنفسه⁽²⁾:

بأبي إخوة ترحلتُ عنهم فترحلتُ عن سُروري وأنسي
فارقوني فأرقوني وأذكوا شعلَ الوجدِ في خواطرٍ نفسي

وأنشدني في هذه الصفة⁽³⁾:

سهرتُ حتى كأنَّ عيني قد وهبتُ لي بلا جفونٍ
ما ذاك إلا لبعد قومٍ هم فارقوني فأرقوني

(1) البيت للبستي في ديوانه الكامل، ص 164.

(2) البيت للبستي في ديوانه الكامل، ص 204. ورواية عجز الأول: عن سرور وأنسٍ ورواية صدر الثاني: فأذكوا.

(3) البيتان في ديوان البستي الكامل، ص 354. رواية الأول: أرققت حتى حسبت عيني قد خلقت ورواية صدر الثاني: وسامني البعد عن أناسٍ.

تدبير المسافر

قالت الأطباء: ينبغي لمن عزم على السفر أن يقدم على مسيره
 الفَصْدَ والإسهال، لاسيما إذا كان بعيد العهد بهما، فإنَّ مَنْ سافر وبدئه
 غير نفي، لم يكد يتخلّص من الحمّيات، وإنَّ تخلّص منها في حالة لتحلل
 بدنه وسخافة جلده لم يتخلّص من الخراجات، والبثور، وصنوف الأورام،
 وسائر الأعراض. وينبغي أن يتجرد إلى نقل عادته التي يلجأ إلى تغييرها
 في سفره من غداء ونوم، وإن كان يحتاج في سفره إلى السرى أخذ نفسه
 قبل ذلك باعتبار السهر قليلاً قليلاً. وينبغي أن ينقل وقت الغداء الذي
 اعتاده إلى الوقت الذي يعلم أن تكون فيه راحته في أيام سفره، ويأخذ
 نفسه بالتصبر على التمتع (12أ)، ويجتنب الأغذية التي لم يعهد أكلها
 ببلده، ولا يأكل منها البتة، وليجعل غذاءه طعاماً جيّداً الغذاء قليل
 الكمية، ولا يأكل إلا أن ينزل ويستريح، وإن كان فلا بُدَّ، فليقلل ولا
 يأكل أكلاً تاماً، ولا يستوفين الغذاء إلا بعد نزوله، ولينحرف عن البقول
 والفواكه فأنها تملأ بطنه من غير كثير غذاء، وتولد فيه أخلاطاً نيّة ورديّة،
 اللهم إلا أن يحتاج إليها في زمانٍ حارٍ، فيتناولها على الشريطة التي يجيئ
 وصفها، وإن كانت الحركة بالليل فلا ينبغي أن يتعشى، يؤخر الاستيفاء
 للغذاء أبداً إلى الوقت الذي تطول فيه الراحة، وليحذر التجشم والسير
 والحركة على امتلاء من البطن فإنَّ ذلك يولد أوراماً وخراجات،
 وليستحم إذا قدر عليه.

دَفْعُ ضَرَرِ الْمِيَاهِ وَرَدَائِهَا

أجمعت الأطباء على أنه ينبغي للمسافر أن يتزوّد من طين بلدته، فيلقي منه في المياه المختلفة التي يضطرّ إلى شربها ويتركها حتى تصفو ثم يشربها، وأن يمزج ماء كل منزل بماء المنزل الذي قبله، وأن ينال من البصل والخس والخلّ. وأمّا الماء الكدر الغليظ، فينبغي أن يُصفى بتحويله مراراً من إناء إلى إناء أو يروّق براووق ملطّخ بكعك مبلول، ومّا يُصفى الماء الكدر أن يُغلى غليات ثم يبرد، ومّا (12ب) يصفى أيضاً أن يطرح فيه شيء يسير من الشبّ اليماني المسحوق. وأمّا الماء المالح فليشرب بالخلّ أو يلقى فيه قليل خروّب⁽¹⁾ أو يمزج بماء السفرجل فإنه يدفع ضرره. وأمّا الذي فيه مرارة فليشرب بجلاب وتؤكل عليه الأشياء الحلوة، وأمّا الماء الزعاق فليجعل في قدر نظيفة ويجعل فوقها عيدان معترضة ويطرح فيها جزز صوف منفوش نقي، ويجعل على جمر يشعل ويعصر ذلك الصوف وتبرّد العصارة وتصفى.

وأمّا الماء الذي فيه عفونة فليمزج بربوب⁽²⁾ الفواكه القابضة كُربّ الحصرم والرمّان والتفاح، وليهجر الأغذية الرديئة الحارة ما دام الشرب منه. وأمّا الماء الذي يغثي فليشرب مع ربّ الرمان وسكنجيين⁽³⁾.

(1) الخروّب: شجر معروف، الواحدة خروبة. المنجد، ص 168.

(2) رُبوب: الرُبيّات المعمولات بالرُبّ. ينظر المنجد، ص 243. والرُبّ ما ينثر من عصير الثمار والجمع ربوب.

(3) سكنجيين: شراب مركب من حامض وحلو معربة تكملة المعاجم العربية، دوزي، ج 6، ص

وأما الذي فيه حشائش لها رداءة وحدّة، فينبغي أن يُصَفَّى ولا
يشرب إلّا بفدام^(١) ولاسيّما إذا كان فيه عَلَق.
وأما الذي يُطْلَق البطنَ فليتعهد معه الأغذية القابضة للبطن
وبالضدّ.

(١) فدام: ما يوضع على الفم سدّاداً له، وما يُشدّ على فم الابريق ونحوه لتصفية ما فيه، وخرقة
تشدها الأعاجم على أفواهها عند السقي. تكملة معاجم العربية، ج 8، ص 28.

الاحتباس من الحر وتلافي ضرره بالسافر.

من سافر في حرٍّ شديد فينبغي أن لا يكون ممتلئاً من الطعام، ولا مخموراً ولا شارباً من الشراب، ولا ينبغي أن يكون خاوياً خالياً من الطعام والشراب البتّة، اللهم إلا أن يكون متخماً.

والأجود له أن لا يسير إذا كان كذلك، وإن يسكن ويطيل النوم (113) حتى يخفّ ما به فأما إن لم يكن متخماً بل يشتهي الطعام ولو أدنى شهوة، فليأكل أكلاً معتدلاً إلى القلّة ما هو من أغذية باردة مطفئة مُسَكِّنة للعطش كالقريض⁽¹⁾ والهلّام⁽²⁾ وماء الحصرم وخلّ الزبيب ونحوها من البوارد.

وإن كان لا يشتهي الطعام أو يجد فضل حرارة وعطش فليشرب من سويق بسكر وماء بارد ثم لا يسيرنّ ساعة يفرغ من ذلك، بل يتوقف قليلاً وخاصة إن شرب من الماء فضلاً، لأنّه إن تحرّك على المكان تخضخض الطعام في معدته ونفخه وساء هضمه، وإن لم يجد من ذلك بداً فليشرب قليلاً قليلاً، ولا يعثّف في الحركة مديدة ما، وليوقّ أعضائه كلّها والرأس خاصة من الشمس، والعادة في هذا الباب خطر عظيم وذلك أنّ الأبدان المعتادة للحرّ والبرد والتعب أقوى وأصبر عليها وهين عليها، وأقلّ نكايّة منها في التي لم تعتد ذلك، فإذا قطع مسيره، فليسترح هنيهة ثم يغتسل بماء عذب لا بارد بل فاتر ثم يأكل من الفواكه والأغذية المبردة

(1) القريض: طعام مطبوخ فيه مواد حامضية، التخريج: التكملة: دوزي، ج8، ص 227.

(2) الهلام: لحم مطبوخ في إناء مُعْطَى: تكملة المعاجم العربية، ج11، ص 53.

المرطبة، ولينم في موضع ريح وليتجنب الباه⁽¹⁾. وإن وجد صداعاً عاجله بماء ورد، ودهن ورد، وخل خمر، وزاد في الاغتسال وجعل ميل أغذيته إلى البرودة والرطوبة أكثر، ويتنشّق دهن البنفسج ودهن القرع ودهن الخلف⁽²⁾، وليكن سيره أسكن، وتوقيه للشمس أكثر واحتراسه (13ب) منها أشد وأبلغ، وليأخذ قبل مسيره من الأشياء القوية التطفية كسويق الشعير، والماء البارد، أو لعاب بذور قطونا⁽³⁾، أو الجلاب أو ماء الشعير ويغتنى عنه نزوله بالفواكه المبردة والألبان أن لم يكن حدثت حمى.

(1) الباه: في تكملة المعاجم العربية لدوزي، 234/1، الباه: جمع باهة لغة في باحة وهي عرصة الدار.

(2) دهن الخلف: الخلف: صنف من الصفصاف.

(3) بزر قطونا: نبات يسمى ثمرة وحمله بزر قطونا سيما جاء في المعجم المنصوري، ص 33. ينظر تكملة المعاجم العربية: دوزي، 326/1.

الاحتباس من السموم وعلاج ما يحدث من نكايته

من اضطرَّ إلى المسير في شمس الصيف فينبغي أن يأكل أكلاً معتدلاً من شيء دسم، ولا يكثر من شرب الماء عليه، وليتلثم بعمامة، وليحتمل كربها ويتمضمض بالماء كل ساعة ولا يسيغه إلا أن يكون بارداً، ويتنشق من دهن القرع الحلو تنشيقاً صالحاً أو من دهن اللوز، ويتلصق منه شيئاً يسيراً، ويطلّي بطنه وصدره قبل المسير بلعاب بزر قطونا أو عصير بقلة الحمقاء مضروباً بدهن قرع وبياض بيضة، وإن حمل معه قضبان بقلة الحمقاء وامتص منها نفعه جداً، ولا سيما إن أكل منها قبل أن يسير أكلاً كثيراً مطبوخاً بالرائب والسمن أو بالبصل، فانه طعام نافع لضرّة السموم ومذهب للعطش، ومما يذهب عادية السموم أن يقطع البصل، وينقع في الرائب يوماً وليلة بماء بارد، ثم يؤكل منه قبل المسير ويشرب من ذلك الرائب عليه. وإذا نزل العطشان الحرّ، فلا يسارع إلى شرب الماء بل يتمضمض منه هنيئة ثم يسيغ منه قليلاً، ثم يأكل شيئاً (114) مبرداً ثم يشرب الماء عليه مصّاً.

في تسكين العطش ودفع مضاره

ينبغي لمن خاف العطش في طريقه أن لا يستوفي طعامه قبل مسيره بل يأكل شيئاً من البقول الباردة والبوارد الحامضة، ويشرب من السكر والسويق بماء كثير بليغ البارد، وليحذر الأكل من المالح والحلو والحريف والسّمك خاصة طريه ومالحه وممقوره، ومن جميع ضروره، فإنه معطش، وكذلك من الكواسج والرواصر⁽¹⁾ المالحه والكبد خاصة والزيتون وينبغي أن لا يخبّ ولا يستعجل في السير بل يترفق، فإن الخبب والعجلة في الحركة تُلجئ إلى تواتر النفس وعُظمه، وذلك من أبلغ شيء في تقبيح العطش. ويجب أن لا يكثر من الكلام، فإن الإكثار منه يُعطش أيضاً، فإن اضطرّ إليه فليخفف الصوت ما أمكن، لأن الصياح يعطش ويهيج الحرارة والعطش جداً. وما يدفع العطش ويسكّنه مدة طويلة أخذ الرائب الحامض وبقلة الحمقا والخس والقرع والخيار والبطيخ غير الحلو والكمثرى الكثير الماء القليل القبض إذا كان غير صادق الحلاوة، والرمّان والتفاح ونحوهما من الفواكه الحامضة وحامض الأترج والحصرم والريباس⁽²⁾ والأجاص اليابس، فهذه إذا أخذت قبل المسير منعت هيجان العطش.

ومما يمسك في الفم، ويتعلل به عند المسير فيدفع به العطش (14ب) الأجاص اليابس الحامض يلاك واحدة واحدة، وتمر هندي أو حبّ رمان حامض أو سماق ونحوهما، وينفع أيضاً بعض النفع أن تمسك

(1) الرواصر: لم أقف على معناها.

(2) الريباس: نبات اسمه العلمي (Rheum Ribes) ابن البيطار، 1/508، تكملة المعاجم العربية، 5/260.

في الفم قطعة بلور أو صدف أو فضة خالصة نقية، وتضم الشفتان ولا يتنشق الهواء بالفم أصلاً ما أمكن ويشمّ ساعة بعد ساعة من بعض الرياحين الباردة. وإن كان في الماء قلة، فليمزج بالخل فأَنَّ قليله حيثنذٍ يبلغ من تسكين العطش مبلغاً، وينبغي أن يتغذى بالأغذية الممسكات للعطش ويحذر مهيجاته. وهذه صفة أقراصٍ تطفئ الحرارة، وتُسكن العطش، وتنفع من الحميات الحارة غاية النفع، وتمنع العطش. يؤخذ منها قبل المسير وبعده الحبة بعد الحبة في الفم فتقطع العطش غاية القطع وتطفئ اللهب والحرارة وهي من وصف محمد بن زكريا الرازي⁽¹⁾:

يؤخذ من بزر خيار وبزر قرع مُقَشَّرين جزءاً وجزءاً، وبزر خس وبزر بقلة، فيدقّ وينخل، ويجمع بلعاب بزر قطونا ويتخذ أقراصاً صغاراً، ويؤخذ منها عند المسير واحدة بعد واحدة في الفم ولا يمضغ بل يترك حتى تنحل قليلاً قليلاً وتذوب، وإن كان في الصدر خشونة أخذت قبل المسير بجَلَابٍ أو شراب بنفسج وهذه الأقراص تنفع من حرقة البول غاية النفع، ومن أصابه العطش في طريقه فينبغي أن لا يروى (115) من ساعة يصادف الماء، بل يتمضمض ساعة ويتجرّع منه قليلاً قليلاً، ويضع أطرافه فيه يغسل وجهه ويدخل فيه إن أحبّ ذلك ولا يشرب منه إلا أقلّ ما يقدر عليه الجرعة بعد الجرعة، بل يأكل بعض الأغذية الموصوفة ويزيد في الشرب قليلاً قليلاً، فإنه بهذا التدبير يمكنه أن يسلم من العطش المهلك ومن سائر أعراض السوء التابعة له إن شاء الله تعالى.

(1) محمد بن زكريا الرازي: من أئمة صناعة الطب، ولد وتعلم في الري وجاء إلى بغداد بعد سن الثلاثين، تولى رئاسة أطباء البيمارستان العضدي ببغداد ومات فيها، له 232 كتاباً ورسالة، طبع كثير منها، وطبع الحادي باللاتينية والعربية، من مصادره: الأعلام: 6/ 364-365، وطبقات الأطباء: 1/ 319-321، ونكت الهميان، ص 249، وتاريخ حكماء الإسلام، ص 21.

تدبير المسافر في البرد الشديد والثلج الكثير

قالت الأطباء إنه كما يعرض من المسير الطويل في الحر الشديد قشف البدن وذبوله والصداع والحميات ونحوها من الآفاق، كذلك يعرض من المسير في البرد الشديد آفات منها الجمود والعشى والسكته والاسترخاء والكزاز وعفن الأطراف. ومن أجباً إلى المسير في البرد الشديد، فينبغي أن يمتلئ من الطعام وينال من الشراب نيلاً صالحاً ويُمسك عن الحركة هنيهة بقدر ما يسخن الطعام ويسكن ما يحدثه من القوة في البدن، ولتكن أغذية حارة بالقوة والفعل معاً. وإن كان البرد شديداً، واحتاج أن يسير ساعة أكله، فليفتّر الشراب ويشربه صرفاً أو يصبّ عليه قليلاً من الحار بقدر ما يفتّر به، وليكن شرابه قوياً لا لطيفاً، لا قبض فيه ولا هموضة وليلتئم (15ب) تلتماً وثيقاً، لاسيّما إن كانت تهب رياح باردة مقابلة لوجهه، وليحترس منها أكثر إذا كانت بصدرة علة وخشونة أو سلعة أو كان ضعيف الصدر والرئة، فإن هؤلاء يسرع إليهم من تنشق الهواء البارد سعالاً شديداً ونفث دم. ومما ينبغي أن يؤخذ قبل المسير في البرد الشديد الطعام المتخذ بالجوز والثوم والبصل والسمن. وللثوم خاصية في هذا المعنى وله فضيلة تامة، وذلك أنه يسخن البدن، ويشعل الحرارة الغريزية، حتى ينسبط في جميع البدن ويكثر فضلاً عن نصف البدن، وكذلك يفعل الحلتيت⁽¹⁾ إذا أخذ منه وزن درهم مع رطل شراب قوي أو بماء العسل والفلفل أيضاً إذا أكثر منه في الطعام أو شرب

(1) الحلتيت لم أقف على معناها.

في ماء العسل. وكذلك البصل النيّ والكراث والاسفيدباجات⁽¹⁾ المطيبة الكثيرة التوابل، وإذا قطع مسيره ونزل فلا ينبغي أن يُبادر إلى اصطلاء ولا إلى الحمام ولا إلى النوم، ولكنه يتردد سويعة في موضع دفيء قد أوقد فيه، ثم يقرب من النار على تدرّج قليلاً قليلاً، ويدخل الحمام ويستطيل اللبث فيه ويتدلّك فان لم يجد حماماً، فليسخن له بيت الوقود فيه، ثم يتدلّك هنالك حتى تحمّر بشرته، ثم ليطل النوم في فراش وطيء ودثار دفيء، فإنه يسلم بإذن الله سبحانه وتعالى من الحميات (116).

(1) الاسفيدباجات الطيبة: الاسفيدباج ضرب من الطعام معربة عن الفارسية، ومعناها الحساء الأبيض وهي مركبة من أسيد: أبيض وباء: حساء، وهو ساقط الجيم في الفارسية والاسفيدباجات مذكورة في تذكرة داود الإنطاكي، ص 42، وفي ابن البيطار، ص 57، وفي كتاب الطيخ لمحمد بن الحسن البغدادي، ص 32، وفي تكملة المعاجم العربية لرمزي، 125-124/1.

علاج مَنْ أَصَابَهُ جُمُودٌ مِنَ الْبَرْدِ

من أصابه ذلك ولم يبلغ حدّ اليأس منه، فينبغي أن يسخن له موضع من الريح بالوقود، ثم يدلك فيه بالأيدي الكثيرة الحارة دلكاً جيداً كثيراً سريعاً لئناً يغمر به جميع بدنه خلا الرأس، فإنه ينبغي أن يُكَمِّدَ بحرق مسخنة حتى إذا دلك ناعماً ألزم أبداناً حارة تضاجعه وتماس بدنه لا سيما البطن والظهر، وليؤخذ شيء من الحلتيت ومن الفلفل في شراب قوي ومن ماء اللحم حتى إذا ثابت إليه نفسه قليلاً، غُذِّي بها وبالأسفيد باجات وسقي شراباً ليس بالكثير، ومُهَّد له ووطي ودثّر ناعماً وأمر بطول النوم، حتى إذا صلح وأفاق فيدخل حماماً حاراً، وليطل المكث فيه، ويكثر التدلك، ويمرّخ بدنه بدهن سوسن أو دهن نرجس قد فتق فيه قسط وجندباً دستر⁽¹⁾ ومسك وفرفيون⁽²⁾.

(1) جندباً دستر: يطلق على إفراز القندس، وهذا الإفراز ينفع في علاج نهش الهوام ويبلغ الأشياء كثيرة، وجلده غليظ الشعر يصلح للبس المشايخ، ولحمه نافع للمفلوجين، والقندس حيوان بري - بحري يوجد في بلاد الجفجاق، وقبل الجند بادستر، يطلق على خصيّة هذا الحيوان. ينظر تكملة المعاجم العربية لدوزي، ج2، ص 308-309.

(2) الفرفين الفرفير: وهي البقلة الحمقاء وفي لسان العرب: الفرفخ والفرفخة: البقلة الحمقاء ولا تنب بنجد، قال أبو حنيفة فارسية غرّبت وفي مختار الصحاح: الفرفخ: البقلة الحمقاء التي يقال لها: البويهين، وفي مخطوطة الثعالبي (الفرفيون) تكملة المعاجم العربية لدوزي، ج8، ص 55. سسط، قسطون: قسطوس، وهو الشاهد. تكملة المعاجم العربية لدوزي، ج8، ص 271.

حفظ الأطراف من البرد

ينبغي أن تُدلك أصابع الرجلين، ثم يمرخ تمريناً بزيت عتيق ثم يلف ويجمع ما بينهما وما تحتها وما فوقها وتحت المشط كله بشعر ليين، ثم تدخل في الجوارب الرقيقة الوطية، فإن لبس الخف وكان بارداً فليتوق أن يتل ويرطب، ومما تسمح به الأطراف فيدفع آفة البرد عنها جميع الأدهان الحارة كدهن الزنبق (16ب) وألبان ودهن الغار والسوسن، والقطرات أقواها كلها فعلاً في ذلك، فإنه يمنع البرد والعفن ومما ينفع الرجل تغيير الدثار والمشي والدلك.

علاج قمر بالعين من كثرة النظر إلى الثلج

من يخشى أن تقمر عينه فليكن لباسه سواداً، وليعتم بعمامة سوداء أو يشد تحت عينه عصاة سوداء حيث تقع العين عليها، ويأخذ خرقة سوداء ويُدمن النظر إليها، وليكن من يسايره من حواليه عليهم السواد. ومما ينفع غاية النفع أن يسد على العينين ذلك المنسوج من الشعر الأسود من أذئاب الخيل [و] الدواب الذي يستعمله الأتراك في أسفارهم.

علاج التعب والإعياء الشديد

مَنْ تَعَبَ وَعَيَا وَلَقِيَ مِنْ سَفَرِهِ نَصَبًا، فَلْيَسْتَرِحْ إِذَا نَزَلَ سَاعَةً، ثُمَّ لِيَدْخُلَ الْحَمَّامَ، فَإِنْ لَمْ يَصَادَفِ الْحَمَّامَ فَلْيَدْخُلْ فِي مَاءٍ حَارٍّ هَنِئَةً بِقَدْرِ مَا تَلِينُ بَشْرَتُهُ وَتَكَادُ تَحْمَرُّ ثُمَّ يَتَدَلَّكَ تَدَلِّيكًا لَيِّنًا وَلِيَغْمُرَ مَفَاصِلَهُ، ثُمَّ يَتَمَرَّخَ بِدِهْنٍ قَدْ طُبِّخَ فِيهِ إِذَا كَانَ الزَّمَانُ شَتَاءً.

اختيار منازل العسكر

ينبغي أن ينزلوا في الصيف التلالَ والروابي، ويستقبلوا بوجوه الخيام الشمال، ويباعدوا الدواب. وأمّا في الشتاء فليكن التدبير في ذلك بالضدّ ولينزلوا الأغوار وأصول الآكام (117) والجبال ويستقبلوا الجنوب، ولا يفرقوا الخيام بعضها من بعض، وكذلك الدواب.

تدبير راكب البحر

ينبغي لمن يريد ركوبَ البحر أن يتزود من رُبوب الفواكه، ومن الأدوية المعتادة ويقل غذاءه قبل ذلك أياماً ويجعله من المعونة للمعدة، ولا ينظر إلى الماء يوم يركب، وليأخذ من الأشياء المسكّنة للمعدة من الغثا⁽¹⁾ كالطين الخراساني وحبّ الرمان الحامض والسماق والزعرور، فإن لم يسكن الغثا فليتيقياً مرّاتٍ ثم يأخذ ربوب الفواكه.

(1) الغثا: غثيّ وغثيان: جيشان النفس وتهيوها للقيء. تكملة المعاجم العربية لدوزي، ج7، ص 383.

نكت في ركوب البحر

كان يقال: البحر خلق عظيم ركه خلق ضعيف، دود على عود.
وقيل بعض ركاب البحر أي شيء رأيت أعجب من عجائب

البحر؟

قال: سلامتي منه.

يقال: ليس شيء من أمور بني آدم أهول وأعظم خطراً من

شيئين: ركوب البحر وحضور الحرب.

وقال بعض العلماء: لم يُبق غاية من الحرص من ركب البحر.

ومن أحسن ما قيل في الشفاعة لراكب البحر إلى الممدوح

[عبدالله بن محمد بن أبي عيينة⁽¹⁾ لبشر بن يزداد المهلي، وهو على

السند⁽²⁾]:

(1) في اسم الشاعر واسم الوالي تحريف قمنا بتصويبه في الأصل: قول أبي عيينة، والصواب ما أثبتنا.

(2) الصواب داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة.
والشعر لعبدالله بن محمد بن أبي عيينة في ديوانه، ص 7. رواية الأول في ديوانه: قصدت إليك بعض مراكب ورواية عجز الثالث: للخوف والذعر، ورواية عجز الرابع في الديوان: كنت، نصحيف.

إنَّ امرءاً خطفت إليك به
 تجري الرياح به فتحملهُ
 ويرى المنية كلِّماً عصفت
 للمُستحقِّ بأنَّ لزوده
 في البحر غير مراكب البحر
 وتكفُّ أحياناً فلا تجري
 ربح به للهول والذُّعر
 كُتب الأمان له من الفقر

وأحسن منه قول دعبل لمحمد بن عمران التيمي^(١):

وقد كان هذا البحر ليس يجوزه
 فاضحى أنيساً بابتنائك عامراً
 من الناس إلا خائف أو مخاطر
 كأن له الآمال فيه القناطر

(١) البيتان لدعبل في ديوانه، ص 395، ط2، تحقيق عبد الكريم الاشتر وفيه أنه مما مدح به داوود بن يزيد المهلب والي السند رواية عجز الأول: سوى خائف من ذنبه أو مخاطر، ورواية الثاني في الديوان:

فصار على مرئاد جودك هينا كأن عليه حكومات القناطر

فقه السفر

في الخبر: إن الله تعالى يحب أن تُقبل رُخصة كما تُؤدى فرائضه⁽¹⁾.

وعن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله تعالى يقول: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾⁽²⁾، وقد آمنا، فقال عمر: "عجبت مما عجبت منه فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: 'قصر الصلاة في السفر صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته'⁽³⁾.

وكان ابن عباس يقول: الرخصة من الله تعالى صدقة فلا تردوها عليه. وعنه رضي الله عنه أن الله فرض الصلاة في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة، ولا خلاف بين الفقهاء في جواز قصر الصلاة في السفر ما خلا صلاتي الصبح والمغرب وذلك تخفيف من الله تعالى ورحمة أراد منه ليسر لا للعسر لعباده⁽⁴⁾.

(1) ورد الحديث بالرواية التالية: (أن الله يحب أن تؤتي رخصة كما يجب أن تؤدى عزائمه) رواه أحمد، 108/2، عن ابن عمر وصحيح الجامع، 1882، ارواه الغليل، ص 564.

(2) الآية 101 م سورة النساء رقم 4 ونظام الآية: (وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتكم أن يفتنكم الذين كفروا، أن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً).

(3) ورد الحديث الشريف كتاب الدعوات: تحفة الأحوذى رقم الحديث 3437، مجلد 1، ص 2452.

(4) جاء في كتاب (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم القرطبي ما نصه: 'فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة، باب ما جاء في قصر الصلاة، ج 2، ص 328-1417، دمشق تأليف محمد اشرف بن أمير العظيم آبادي، الحديث رقم 57، بيت الأفكار الدولية، السعودية.

وقال بعض الأعراب:

ليتني في المسافرين حياتي لا نريد المقام بالترحال⁽¹⁾
بل بخمس تطيحُ منهنُ ستُ وثلاثين لا تمرّ بيالي (118)

يعني خمس صلوات يذهب منها ست ركعات، والثلاثين يعني شهر رمضان.

ومن رُخص السفرِ التَّيَمُّمُ عند عدم الماءِ كما قال الله تعالى:
﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾⁽²⁾،
والتَّيَمُّمُ ضربتان: ضربة للوجه وأخرى لليدين.

ومن رخص النبي ﷺ المسح على الخفّين مكان غسل الرجلين في
الوضوء للمقيم يوماً وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها.
وفي الحديث: "ليس من البرّ الصيام في السفر"⁽³⁾.

(1) هكذا في الأصل ولعلها (لا يقل).

(2) الآية رقم 6 سورة المائدة رقم 5.

(3) الحديث بنصّه في كتر العمال، 8/ 503، عن ابن عمر رقم الحديث 23843 وورد بصيغة أخرى حين حدّث الرسول ﷺ وقدأ من اليمن فقال: ليس من أمير أم صيام في السفر، برقم 23856 من كتر العمال.

غزل السفر

أنشدني الصولي لأحمد بن سليمان بن وهب في غلام له خرج
إلى الكوفة لقبض رزقه:

دموع الصبّ مَذْرُوفَةٌ ونَفْسُ الصَّبِّ مَشْغُوفَةٌ
من الشوق إلى البدر الذي يطلع بالكوفة⁽¹⁾

ومن أحسن ما قيل في مسافر يزدد حُسْنًا في سَفَره، كالهلال
الذي ينمو على سيره، وفي مثاله، قول ابن طباطبا:⁽²⁾

قل لمن أصبحت له الشمس غيّرَى فهي فيما تُسَامُ في الأفقِ حَيْرَى
إِنَّكَ ازْدَدْتَ حينَ سافرتَ حُسْنًا لم يَسْمُ حسن وجهك السيرُ ضَيْرَا
كازدياد الهلال من نوره في أول الشهر كلمًا ازداد سَيْرَا

وقلتُ في صباي: (18ب)

فديتُ مُسافراً ركبَ الفَيَافِي وأُتِر في محاسِنِه السَّفَافِرُ

(1) البيتان لأحمد بن سليمان بن وهب في كتاب آل وهب من الأسر الأدبية، ص 327، ومعجم الأدباء، 58/3، وأحمد هذا من أسرة آل وهب الأدبية كان ناثرًا ناظمًا له ديوان في خمسين ورقة ذكره ابن النديم، وله ديوان رسائل. تقلد بعض الأعمال، نظر للسلطان في جباية الأموال، توفي سنة 285هـ.

(2) الأبيات لابن طباطبا في ديوانه، ص 52، رواية عجز الأول: في الجو حيرَى. ورواية الثاني: يأبى زدت لم تسم وجهك الغزالة ضيرًا.

فَمَسْنَكَ وَرَدَ خَدَّيْهِ الْفِيَا فِي وَعَثَبَرَ مَسْنَكَ صُدْغِيهِ الْغُبَارُ⁽¹⁾

وَأَنشَدَ⁽²⁾ رَحِمَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ:

أَيَا زَائِرَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَتَارِكاً قَتِيلَ الْهَوَى لَوْ زُرْتَنِي كَانَ أَجْدَرَا
تَحْجُّهُ احْتِسَاباً ثُمَّ تَقْتُلُ عَاشِقاً فَدَيْتَكَ لَا تُحْجُجُ وَلَا تُقْتُلُ الْوَرَى

أَبُو الْفَرَجِ الْبَيْغَاءِ⁽³⁾:

يَا غَازِيَا أَنْتِ الْأَحْزَانُ غَازِيَةٌ إِلَى فَوَادِي وَالْأَحْشَاءِ حِينَ غَزَا
إِنْ بَارَزْتُكَ كَمَاةَ الرُّومِ فَارْمِهِمْ بِسَهْمِ عَيْنِيكَ تُقْتُلُ كُلَّ مَنْ بَرَزَا

(1) التتفة للشعالي في ديوانه، ص 53-54. رواية صدر الثاني: خَدَّيْهِ السَّوَا فِي.

(2) كلمة غير مقروءة لعلها (البسامي).

(3) البيتان للبيغاء في ديوانه، ص 58.

أحسن ما قيل في المفاوز وأحوال السفر وذكر السراب والجو والمطر

من أحسن ما سمعتُ في وصف المفاوز وطولها قول مسعود أخي
 ذي الرمة⁽¹⁾:

- 1- وَمَهْمَهُ بِهِ السَّرَابُ يَلْمَحُ.
- 2- دَلِيلُهُ مِنْ هَوْلِهِ مَطْرَحُ.
- 3- يَدَابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا.
- 4- ثُمَّ يَظْلُونَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَبْرَحُوا.
- 5- كَأَنَّمَا أَمْسَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا.

وقول ابن عباد⁽²⁾:

وَتِيهَاءَ لَمْ تَطْمِثْ بَخْفٍ وَحَافِرٍ
 مَعَالِمُهَا أَنْ لَا مَعَالِمَ بَيْنَهَا
 فَلَوْ قِيلَ لِلْغَيْثِ آسِقُهَا مَا اهْتَدَى لَهَا
 تَجَشَّمْتُهَا وَاللَّيْلُ وَخَفَتْ جَنَاحُهَا
 وَلَمْ يَذَرِ فِيهَا النُّجْمُ كَيْفَ يَغُورُ
 وَآيَاتُهَا أَنْ الْمَسِيرَ غُرُورُ
 وَلَوْ جَازَ مَلَأَ الْأَرْضَ وَهِيَ حَرُورُ
 كَأَنِّي سِرٌّ وَالظَّلَامُ ضَمِيرُ

(19)

(1) الأرجوزة له في كتاب التشبيهات لابن أبي عون، ص 73، رواية الشطر الأول: ومهمة فيه، ورواية الثاني: دليله بجوّة مطوّخ. ومسعود أخي ذي الرمة وهو مسعود بن عقبة من بني عديّ الرباب، وكانوا إخوة ثلاثة: غيلان وهو ذو الرمة وأوفى ومسعود، فهلك أوفى ثم هلك ذو الرمة، ومات مسعود في حدود عام 120هـ. تنظر الأعلام: 8/ 113. وطبقات فحول الشعراء، ص 5654-566، لسلام الجمحي بتحقيق الشيخ محمود شاكر رحمه الله.

(2) المقطعة للصاحب بن عباد في ديوانه، ص 224.

ورواية عجز الثالث: ولو ظلّ ملء الأرض وهي جزور أحد بن أبي بكر الكاتب.

ومن أحسن ما قيل في التفاؤل بها قول [أبي] أحمد بن أبي بكر
الكاتب⁽¹⁾:

قطعت من أمل المفازة قطعاً به أمل المفازة

ومن أحسن ما قيل في نوح الكرب قول أبي نواس⁽²⁾:

ركب تساقوا على الأكوار بينهم كأس الكرى فانشى المُنشئ والساقى
كان أروسهم والثوم واضعها على المناكب لم نغمد بأعناق

وقول ابن المعتز⁽³⁾:

وسفر سقوا خمر النعاس فغمضوا كتغميض نوار الرياض النوائم
أمال الكرى أعناقهم ورؤوسهم كميل غصون الأيك تحت الحمام

ومن أحسن ما قيل في نحول السفر ومطاياهم وركوبهم الليل إلى أمالهم:

وركب كأمثال الأسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه
لأنهم عليهم أن تتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

(1) من بيت رئاسة كان أبوه وزير الأمير أحمد بن إسماعيل أيام الدولة السامانية ببخارى وكان شاعراً، تقلد أعمال هراة وبوشيج وبادهغت، شغف بانخاذ الندماء والعزف والقصف، وعانى ضائقة مالية فانتحر بشرب السم، له ترجمة وأشعار في بشعة الدهر، ج 4، ص 64-69.

(2) التتفة لأبي نواس في ديوانه، طبعة الغزالي، ص 285، ورواية عجز الثاني: لم توصل بأعناق.

(3) لم أظفر بالتتفة في شعر ابن المعتز.

ومن أحسن ما قيل في السراب قول بعض الأعراب⁽¹⁾:

أَخَوْفُ بِالْحَجَّاجِ حَتَّى كَأَنَّمَا يُحَرِّكُ عَظْمُ فِي الْفَوَادِ مَهِيضُ
وَدُونَ يَدِ الْحَجَّاجِ مِنْ أَنْ يَنَالَنِي بِسَاطِ لَايَدِي الْيَعْمَلَاتِ عَرِيضُ
مَهَامِهُ أَشْبَاهُ كَأَنَّ سَرَائِبَهَا مَلَأَتْ بِأَيْدِي الْغَاسِلَاتِ رَخِيصُ

وقول أبي نواس⁽²⁾:

إِذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ امْتَدَّ آلُ كَأَنَّ دُرَّةً وَهُوَ الْبَحَارُ
(19ب)

يَمُوجُ عَلَى النَّوَاطِرِ وَهُوَ مَاءٌ وَيَلْفَحُ بِالْهَوَاجِرِ وَهُوَ نَارُ

وقول أبي سعيد الرستمي⁽³⁾:

وَهَاجِرَةٌ مِنْ نَارِ قَلْبِي شَبَّيْتُهَا وَقَدْ جَاشَ مِنْ حَرِّ الْفِرَاقِ مَرَا جِلَّةُ
صَلَّيْتُ بِهَا وَالْأَلُ يَجْرِي كَمَا جَرَى مِنَ الدَّمْعِ فِي جَفْنِي لِلْبَيْنِ جَائِلَّةُ

ومن أحسن ما قيل في حرّ الهجير قول عمر بن أبي ربيعة⁽⁴⁾:

(1) المقطعة للعديل بن الفرخ العجلي في كتاب البيان والتبيين، 208/1، وفي حاسة ابن الشجري، ص 199، ورواية عجز الثاني: الأيدي الناعمات وهي دون عزو في تشبيهات ابن أبي عوف، ص 71، ورواية صدر الأول: حتى كأنما في الأصل المخطوط: حتى كأنها والتصويب من تشبيهات ابن أبي عون.

(2) لم أجدهما في ديوان أبي نواس، طبعة الغزالي.

(3) البيتان من قصيدة لأبي سعيد الرستمي في يتيمة الدهر، ج3، ص 316.

(4) لم أظفر بالمقطعة في ديوان عمر بن أبي ربيعة، طبعة صادر.

ويوم كتنور الطواهي شجرته
 قذفت بنفسي في أجيج سموه
 أو قل أن ألقى من الناس عالماً
 وألقين فيه الجزل حتى تضرماً
 وبالعنس حتى أبتل مشفرها دماً
 بأخباركم أو أن الم مسلماً
 وقلت⁽¹⁾:

رُبَّ يوم هواؤه يتلظى
 قلت إذ صك حرة حرّ وجهي:
 فيحاكي فؤاد صَبّ مُتَيِّم
 ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
 ومن أحسن ما قيل في الناقة قول أبي نواس⁽²⁾:

وتجشمت بي هول كل ثنوفة
 تذر المطي وراءها فكأنها
 هوجاء فيها جراءة إقدام
 صف تقدمهن وهي إمام
 وقول أبي فراس الحمداني⁽³⁾:

فيا بُعد ما بين الكلال وبينها
 ويا قرب ما يرجو عليها المسافر

(1) التتفة للثعالي في مجموع شعره المنشور في ص 115 من ديوان الثعالي صنعة محمود عبدالله الجادر رحمه الله، بغداد، 1990.

(2) البيان لأبي نواس في ديوانه، طبعة الغزالي، ص 408.

(3) البيت لأبي فراس الحمداني في ديوانه، طبعة مؤسسة البابطين حسب المخطوطة التونسية، ص 26، وروايته: وأقرب ما.

وقول ابن المعتز⁽¹⁾:

همُّ إذا نام الوري سرى بها	وناقة في مهمو رقا بها
كسطرٍ بسم الله في كتابها (139)	فهي أمام الركب في ذهابها

⁽¹⁾ لم أظفر بالتنقة في ديوان ابن المعتز صنعة يونس السامرائي.

إدانة السَّفر وكثرة التقلب في البلاد وقطع الطريق الشاقة

وصف بعضُ الأدباء رجلاً فقال: جَوَابَةٌ في الآفاق، وجَوَالَةٌ في البلاد، فكأنه قذاةٌ في عين الأرض يُقَلَّبُها من جانبٍ إلى جانب. ووصف آخر مثله فقال: كأنه خليفة الخضر في قطع عرض الأرض.

ووصف الصاحب رجلاً فقال: لا يبالِي أين حطَّ السفرُ رحله، ولا يفكر أين حطَّ الدهر ربه. ووصفه أيضاً فقال: يؤثر السفرَ على الوطن، والغربةَ على السَّكن والمسكن.

ووصفه الخوارزمي فقال: هو أسيرٌ من الأمثال، وأسرى من الخيال.

ووصفه البديع الهمداني فقال: جَوَالَةٌ البلاد جَوَابَةٌ الأفق خذروفة البر، وعمارة الطرق.

والإمام في هذا أبو تمام فإنه يقول⁽¹⁾:

ما اليومُ أوَّلَ توديعٍ ولا الثاني	البنُّ أكرَمَ من همِّي وأشجاني
دَعِ الفراقَ فإنَّ الدهرَ ساعدهُ	فصارَ أملكَ من رُوحِي بجُثمانِي
خَلِيفَةُ الخضرِ من يَرَبُعِ على وَطَنِ	في بلدةٍ، فظهور العيسِ أوطاني

(1) لأبي تمام في ديوانه، ج2، ص 308-309، مدح بها محمد بن حسان الضبي، رواية عجز الأول: وأحزاني. ورواية صدر: بالشام أهلي، ورواية الخامس: حتى تطرح بي.

بالشام قومي وبغداد الهوى وأنا
وما أظنُّ الثوى تُرضى بما صَنَعْتَ
بالرقتين وبالفُسطاط إخواني
حتى تُبلِّغ بي أقصى خُراسان

(20ب) وقال البحرى في هذا المعنى⁽¹⁾:

وطني حيث حطت العيس رخلي
كُلَّم الخضر لي فصيرني بغـ
وذراعي الوساد وهو مهادي
ليلة لي بالشام ثمت بالأهـ
دك عينا على عباد البلاد
وازي يوماً، وليلة بالسواد

وحدثني الحامدي قال: كآني بالحارثي⁽²⁾ ينشد ابن عباد قصيدة
له تجمع حلاوة الحضارة، وطلاوة البداوة، وهو يتزهر لها وهي:

هذا فؤادك تُهبي بين أهواء
هواك بين العيون التجلٍ مقتسم
وذاك رأيك شورى بين آراء
لا تستقر بأرض أو تسير إلى
وذا لعمرُك ما أضناه من راء
يوماً بحزوى، ويوماً بالعقيق ديو
أخرى بشخص قريب عزمه نائي
وتارة تتحي نجداً وآونة
ما بالعذيب ويوماً بالخليطاء
شعب العقيق وطوراً قصر تيماء
[كذا نهيم بسعدى برهة فإذا
هويت عزة تبغي وصل عفراء]

(1) المقطعة للبحري في ديوانه، ج 1، ص 620. رواية عجز الثاني: عيار البلاد، ورواية صدر الثالث: سقطت في الديوان لفظة (لي).

(2) لا يمكن أن تكون لفظة (الحارثي) صواباً فهو من شعراء القرن الثاني الهجري وابن عباد من شعراء القرن الرابع الهجري، والصواب أنه: أبو محمد الخازن، ورواية عجز الثاني: داء لعمرُك ما أبلاه من داء. والخبر كاملاً في اليتمة، ج 3، ص 195-196. والمقطعة في اليتمة، ج 3، ص 195-196 ورواية الرابع فيها: وبالعذيب يوماً ويوماً بالخليطاء، والبيت السادس زيادة على ما في اليتمة وهو في أصل مخطوطتنا والحامدي: هو محمد بن حامد الحامدي.

وأنشد الكعبي في كتابه كتاب مفاخر خراسان أبيات علي بن
الجهم⁽¹⁾:

جَاوَزَ النَّهْرَيْنِ وَالنَّهْرَوَانَا	أَجَلُّوْلا يَوْؤُمُ أَم حُلُوَانَا
[مَا أَظَنَ النَّوِي تَسْوِغَهُ الْقُرْ	ب، وَلَمْ تَمَخَضِ الْمَطِيُّ الْبَطَانَا] (*)
تَشَطَّتْ عَقْلُهَا وَهَبَّتْ هُبُوبَ الـ	رُيْحِ هَوْجَاءِ تَخْبِطُ الْبُلْدَانَا
أَوْرَدَتْنَا حُلُوَانَ ظَهْرًا وَقُرْ	مِيسِينَ لَيْلًا وَصَبَّحَتْ هَمْدَانَا
شَدَّ مَا شَمَّرْتَ بِنَادِيكَ أَنْ الـ	الرَّيُّ مِنْ قَصْدِهَا أَوْ الدَّامِغَانَا (121)
أَوْ تُحْيِي بِنَاءَ بِلَادِ خُرَاسَانَ	فَأُخِيبَ بِأَهْلِهَا إِخْوَانَا
أَنْظُرِينَا إِذَا مَرَرْنَا بِمُرُو	وَوَرَدْنَا الرُّزِيقَ وَالْمَاجَانَا
كِي تُحْيِي دِيَارَهُمْ وَإِدْرِـ	سَ وَيَجِي وَنَسْأَلُ الْأَقْرَانَا

وصف البديع الهمداني قاطعاً للطرق الشاقة فقال: مسح أطراف
المراحل، وتجشّم أهوالَ الموارد، وركبَ أكتافَ المحارم، وصابرَ أنيابَ
النوائب.

ووصف آخر فقال: يسنم عقاباً لو رأثها العقاب لحصّت قوادمها
وخوافيها قبل أن يكمل تصاعدها وتراقبيها.

(1) المقطعة لعلي بن الجهم في ديوانه، ص 186، ط2، تحقيق خليل مردم بك، والبيتان الرابع والخامس سقطا من ديوانه وانفردت بهما مخطوطتا فهما عما يستدرك على الديوان، رواية الأول: جاوزت نهر بين توّم ورواية الثاني: فهبت هبوب الريح خرقاء، ورواية السادس: انظرتنا ورواية السابع: ديار فهم بخير ونسأل الإخوانا، والبيت المؤشر بنجمة: استصفناه من يتيمة الدهر.

التعلل بتحسين الغربية

قال بعض الحكماء: ليس بينك وبين بلدك نَسَبٌ، فخيرُ البلادِ ما
 حملك وجملك، وأعانك على الدهر ولم يُعنِ الدهرَ عليك.
 وقال آخر: ليس على أديب غربة.
 وقال علي بن عبيدة (21أ): الثروة وطن الغريب، والعُسر غربة
 المقيم⁽¹⁾.

الفقرُ في أوطاننا غربةً والمالُ في الغربية أوطانُ
 والأرضُ شيءٌ كُلُّه واحدٌ ويخلف الجيرانَ جيرانُ
 وقال آخر⁽²⁾:

إذا نلت في أرض معاشاً وثروةً فلا تكثرن فيها النزاعَ إلى الوطنِ
 فما هي إلا بلدةٌ مثل بلدةٍ وخيرهما ما كان عوناً على الزمَنِ

⁽¹⁾ المثل في التمثيل والمحاضرة، ص 392، وروايته: المال في الغربية وطن والنقر في الوطن غربة. والبيتان دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 92. وهما دون عزو أيضاً في الحكم والأمثال، ص 189.

⁽²⁾ البيتان دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 92، ودون عزو أيضاً في كتاب الحكم والأمثال، ص 189.

ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول أبي تمام⁽¹⁾: (21ب)

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخلِقٌ لِدِيَاجَتِيهِ فَاغْتَرَبُ تَتَجَدَّدُ
فإنِّي رأيتُ الشمسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً إلى الناسِ أنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسُرْمَدٍ

وأنشدني أبو الفتح البستي لنفسه⁽²⁾:

وطول مقام المرء في مستقره يغيّره لوناً وريحاً ومطعماً

(1) لأبي تمام من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 23.

(2) للبستي في ديوانه الكامل، ص 333. ورواية صدره في الديوان: فطول جهام الماء.

[32]

ذمُّ الغربة

قال بعض الحكماء⁽¹⁾: "الغريب كالغرس الذي فارق أرضه، وفَقَدَ شربه، فهو ذاوٍ لا يُزهر، وذابل لا يثمر".
وقال آخر⁽²⁾: "الغريب كاليتيم [الفطيم] الذي فَقَدَ أبويه، فلا أمَ تراهُ عليه، ولا أب يرقّ له".
وقال آخر: الغربة ذلةٌ فإن أعقبتهَا قِلَّةٌ فهي نفسٌ مضمحلة.
وقال آخر: عسرك في بلدك خيرٌ من يُسرك في غربتك⁽³⁾.
وقال الأعشى⁽⁴⁾:

وَمَنْ يَغْتَرِبَ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَزِلْ يَرَى مَصَارِعَ مَظْلُومٍ بِحَرًّا وَمَسْحَبًا
وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسَيِّئُ يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارُ فِي رَأْسِ كَبْكَبَا

(1) النصّ في اللطائف والظرائف، ص 92.

(2) النصّ دون عزو في كتاب الحنين إلى الأوطان لابن المرزبان، ص 65، وروايته: الذي ثكل ولا أب يراف له.

(3) النصّ في اللطائف والظرائف، ص 92.

(4) البيتان للأعشى في ديوانه، ص 113 من القصيدة رقم 14، رواية الأول:

متى يغترّب عن قومه لا يجد له على مذلة رمط حواليه مغضباً

ورواية عجز الثاني: كوكبا.

وقال العتابي⁽¹⁾:

فيا ابن أبي لا تغرب إن غُرْبِي سقتني بماء الضيم كأسَ الحناظلِ

وقال آخر⁽²⁾:

وإن اغترابَ المرءٍ من غير خَلَةٍ ولا همّةٍ يسمو لها لعجيبُ
فحسبُ الفتى دُلاً وإن أدرك الغنى ونال ثراءً أن يُقال: غريبُ
(122)

وأنشد أبو الفتح البستي لنفسه⁽³⁾:

لا يعدمُ المرءُ كُناً يستكنُّ به ومن نأى عنهمُ قلتُ مهائبُهُ
ومنةً بين أهليه وأصحابه كالليثِ يُحقرُ لما غابَ عن غابه

(1) البيت للعتابي في ديوانه، ص 44، ورواية عجزه في الديوان سقتني بكف الضيم ماء الحناظل.

(2) البيتان دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 93.

(3) البيتان للبستي في ديوانه الكامل، ص 72. رواية عجز الأول: ومنة، وعجز الثاني: إما غاب.

الحنين إلى الوطن

الأوطان للناس كالعُشَّة للطير، والأوجرِ للسَّباع، والحجرة للحشرات، وقد قرَّن الله الخروج منها بالقتل حين قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾⁽¹⁾.

وكان يقال: لولا الوطن لخربت بلاد السوء.
وقال بعض الحكماء: من إمارات العاقل برُّه بإخوانه، وحنينه إلى أوطانه، ومداراته لأهل زمانه.
وكان "بقراط" يداوي كلَّ عليل بعقاقير بلده، فإنَّ الطبيعة ينزع إلى غذائها.

وقال "جالينوس": يستروح⁽²⁾ أرضه كما تستروح الأرضُ الجذبة إلى أوائل القطر.

وقال "الكعبي": مازال الناسُ يحنون إلى أوطانهم ولا يتحققون سببَ الحنين، حتى جاء ابن الرومي وأفصح عن ذلك وأجاد فقال⁽³⁾:

وَحَبَّ أوطانَ الرجال إليهم	مآربُ قضاها الشبابُ هُنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكروا لهم	عهودَ الصبا فيها فحنوا لذلكا

(1) الآية رقم 66 م سورة النساء رقم 4.

(2) كلمة غير مفهومة.

(3) التفة لابن الرومي في ديوانه، ج5، ص 1826.

وذكر بعضهم وطنه فقال: ذلك عُشِّي الذي فيه درجتُ، ومنه خرجتُ.

وذكر آخر فقال: مَقْطَعُ سُرَّتِي ومجمع أسرتي. (22ب)

وسمع أبو دلف العجلي رجلاً يُنشد⁽¹⁾:

لا يمنعُكَ خفضُ العيشِ في دِعَةٍ نزوعُ قلبٍ إلى أهلٍ وأوطانِ
تُلْقَى بكلِّ بلادٍ إنْ حللتَ بها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بحيرانِ

فقال: هذه آلامُ شعيرٍ للعرب، لُبْعِدٍ قائله من الكرم في الحنين إلى الأوطان.

(1) التفتة دون عزو في اللطائف والظرائف، ص 92.

ذِكْرُ الْأَيَّامِ السَّالِفَةِ

من أحسن ما قيل في ذلك قول أبي تمام⁽¹⁾:

أَيَّامَنَا مَا كُنْتَ إِلَّا مُوَاهِباً وَكُنْتَ بِإِسْعَافِ الْحَبِيبِ حَبَابِ
سَتُغْرِبُ نَجْدِيداً لِعَهْدِكَ فِي الْبُكََا فَمَا كُنْتَ فِي الْأَيَّامِ إِلَّا غَرَابِ

وقال ابن الرومي⁽²⁾:

أَتَذْكُرُ أَيَّاماً لَنَا وَلِيَالِيَا مُحَاسِنُهَا كَالرَّوْضِ فِي صُبْحَةِ الدَّجْنِ
عَهْدُ خَلَّتْ مَحْمُودَةٌ وَكَأَنَّهَا مُعَانِقَةُ اللَّذَاتِ فِي حُلَّةِ الْأَمْنِ

وقال ابن طباطبا⁽³⁾:

لِلَّهِ أَيَّامُ اللَّقَاءِ كَأَنَّهَا كَانَتْ لِسُرْعَةِ مَرِّهَا أَخْلَاهَا
لَوْ دَامَ عَيْشٌ رَحْمَةً لَا فِي هَوَى لِأَقَامَ لِي ذَاكَ السَّرُورَ وَدَامَا

(1) لأبي تمام في ديوانه، ج 1، ص 138، من قصيدة لها مدح الحسن بن سهل.

(2) من قصيدة لابن الرومي في ديوانه، ج 6، ص 2456 يستبطن صديقاً في مكاتبته إياه، ورواية صدر الأول: بها ولياليا.

(3) المقطعة لابن طباطبا في ديوانه، ص 91، ورواية صدر الأول: أيام السرور والثاني: رحمة لأخي الهوى، ورواية صدر الأول: أيام السرور، ورواية صدر الثاني: قبلها لأخي الهوى.

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا
عاماً ورُد من الصبا أياماً

وقال أيضاً⁽¹⁾:

سُقيا لأيام فُجِئتُ بطيئها قَصُرَتْ فمرّتْ مثلَ لَحْظِ الأَعْيُنِ
(123) فكانَ بعدَ اليومِ من ذكراكُم ثاوٍ مُقيماً عندكم لم أظعنِ
وكأني عندَ الحنينِ إليكم أبدأُ أحِنُّ إلى صباي وموطني

فصل لابن العميد:

سقى الله أيامنا التي جازت أيام الشباب حسناً ورقّة، وفاقت
أعلامَ المطارفَ ليناً ودقّة، وليالينا تخبّل خدودَ الرياض وتفضّح حواشي
الحلل، وساعاتنا التي هي ألطف من مُسارقة النظرِ ومخالسة القُبُل، وعيشنا
الذي يُنسي سكرة الحبّ، وغفلة الصبا، وزفرة العشق، وطيب الوصل،
ونعسة الرقيب، وغيبة الحافظ، وإسعاف الحبيب، وزيارة الموموق، وحفظ
العهد، وانجّاز الوعد تمرّ الليالي والشهور ولا ندري.

فصل للصاحب:

يا أسفي على غفلات العيش، ولحظات الأُنس، إذ ظهائرتنا
أسحار، وليالينا نهار، وشهورنا أيام، وسنونا قصار، نأخذ ما شئنا ونُدع
ونلعب كما أردنا ونرتع، حين الدهر غلام، والحلم حرام.

(1) المقطعة أخلّ بها ديوان ابن طباطبا صنعة جابر الخاقاني رحمه الله.

وفصل له أيضاً:

يَا أَسْفَاً عَلَى رَدَائِ مِنْ الْأَيَّامِ رَفِيقَ مَا لَبَسْنَا حَتَّى خَلَصْنَا،
وَرَوْضٍ مِنَ الزَّمَانِ مَرِيعٍ مَا حَلَلْنَا حَتَّى فَارَقْنَا.

فصل له أيضاً:

تَذَكَّرْتُ أَيَّامَنَا، فَتَذَكَّرْتُ سَحَرًا وَنَسِيمًا، وَعَيْشًا وَسَلِيمًا، وَرَوْحًا
وَرِيحَانًا وَنَعِيمًا، وَخَيْرًا عَمِيمًا، وَابْتِهَاجًا مَقِيمًا.

ولغيره:

سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا حَسُنَتْ، فَكَأَنَّهَا أَعْرَاسٌ، وَقَصُرَتْ، فَكَأَنَّهَا
أَنْفَاسٌ.

[35]

إهداءُ السَّلامِ

أهدي له السَّلامَ غَضًّا طَرِيًّا وورداً جَنِيًّا، وأَحْمَلُهُ أنفاسَ الشَّمالِ
فَطالما ترددت بين معشوقٍ وعاشقٍ، واستودعُهُ نَسِيمَ الصَّبَا فطالما سَفرَت
بين مشوقٍ وشائقٍ.

سَلامٌ كأنفَسَ الأحبابِ بل كأيَّامِ الشَّبابِ.
أخصَّه من السَّلامِ بأوفرِ الأقسامِ، وأجزَلَ السَّهامِ، وأستديمَ الله
مُدَّتَه مدى اللَّيالي والأَيَّامِ.
أخصَّه من السَّلامِ بما يُضاهي محاسنَهُ كثرةً، وأشكو قلقاً لفراقه
وحسرةً.

وقال بعضهم:

سَلامٌ كما رَقَّ النَسِيمُ على الصَّبَا وفاحَ نَسِيمُ الوردِ في زَمَنِ الوردِ
وقال آخر:

عليكَ سَلامٌ اللهُ أَمَّا قلوبُنَا فمرضَى وأَمَّا ودُنَا فُصْحِيحُ
وقال آخر:

عليكَ سَلامٌ اللهُ يا خيرَ منزلٍ رَحَلْنَا وخَلَّفْنَاهُ غيرَ ذَمِيمٍ
وقال آخر:

سَلامٌ على اللَّذاتِ واللَّهْوِ والصَّبَا سَلامٌ وداعٍ لا سَلامَ قَدومٍ

[36]

الدعاء بتيسير اللقاء

إِسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنْ أَيَّامِ الْوَدَاعِ بَرْدَ أَيَّامِ الْإِسْتِمْتَاعِ
وَبِالْاجْتِمَاعِ، وَاللَّهُ يَعِينُ عَلَى تَعْجِيلِ الْأُوبَةِ، وَتَخْفِيفِ أَيَّامِ الْغَيْبَةِ.
جَمَعَ اللَّهُ سُرُورِي بِكَ، وَعُمَّرَ عَمْرِي بِالنَّظَرِ (124) إِلَيْكَ.
إِنَّ مِنْ أَتَّاحَ لِي مِنْ وَدَّكَ وَهُوَ أَكْرَمُ مُوْهَوَّبٍ، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُيَسِّرَ
لِي قَرَبَكَ وَهُوَ أَنْفَسُ مُطْلُوبٍ، وَاللَّهُ يَحْرُسُ مَوَدَّتَكَ، وَيَطِيلُ مَدَّتَكَ،
وَيَجْعَلُ بَاقِي عَيْشِي مَعَكَ.

لطائف المكاتبات بالشعر

أنشدني الصولي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر:

حَقُّ التَّنَائِي بَيْنَ أَهْلِ الْهَوَى تَكَاتِبُ يُسَخِّنُ عَيْنَ النَّوَى
وَفِي التَّدَانِي لَا انْقِضَى عَمْرُهُ تَزَاوَرُ يُشْفِي غَلِيلَ الْجَوَى⁽¹⁾

وَضَمَّنَ بَعْضُهُمْ كِتَاباً هَذِهِ الْآيَاتُ:

لَئِنْ دَرَسْتَ أَسْبَابُ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ الْوَصْلِ مَا شَوْقِي إِلَيْكَ بَدَارِسِ
وَمَا أَنَا مِنْ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا كَأَحْسَنِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ بِأَيْسِ

وَضَمَّنَ آخَرُ كِتَابَهُ:

قَدْ أَطْلَتُ الْكِتَابَ وَالشَّوْقُ مُمْلٍ لَيْسَ يَرْضَى فِي الْقَوْلِ بِالْمَيْسُورِ
فَبَسَقَى اللَّهُ مَنْزَلَ الشَّيْخِ غَيْشاً وَسَقَى اللَّهُ أَرْضَ نَيْسَابُورِ

وَكُتِبَ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ⁽²⁾:

إِذَا نَسِيَ اللَّهُ أَهْلَ الْوُدَادِ وَخَانَ الْمَوْدَةَ خَوَائِهَا

(1) البيتان في مجموع شعر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، ص 37، المنشور في مجلة كلية الآداب بجامعة البصرة، صنعة قحطان عبد الستار الحديشي.

(2) البيتان للبستي في ديوانه الكامل ص 353. رواية صدر الأول: إذا نسي الناس إخوانهم.

فَعَنْدِي لِإِخْوَانِي الْغَائِبِينَ صَحَائِفُ ذَكَرَكَ عَنَاثُهَا

وكتب أبو إسحاق الصابي إلى ابن عباد⁽¹⁾:

لَمَّا وَضَعْتُ صَاحِفِي	فِي بَطْنِ كَفِّ رَسْوِهَا
قَبْلُهَا لَتَمَسَّهَا	يُمْنَاكَ عِنْدَ وَصُولِهَا (24ب)
وَأَوْدُ عَنِّي أَنَّهَُا	اقْتَرَنْتَ بِبَعْضِ فُصُولِهَا
حَتَّى تَرَى مِنْ وَجْهِكَ الـ	مِمْوْنُ غَايَةِ سُؤْلِهَا

وكتب أبو الفتح البستي إلى أبي نصر بن أبي زيد⁽²⁾:

لَمَّا أَتَانِي كِتَابُكَ مِنْكَ مَبْتَسِمٌ	عَنْ كُلِّ حَسَنِ وَفَضْلٍ غَيْرِ مُحْدَوِدٍ
حَكَتْ مَعَانِيهِ فِي أَثْنَاءِ أُسْطَرِهِ	آثَارُكَ الْبَيْضُ فِي أَحْوَالِي السَّوْدِ
[وَدَبٌ فِي سِرِّ قَلْبِي عِنْدَ مَطْلَعِهِ	رُوحُ السَّرُورِ، دَيْبُ الْمَاءِ فِي الْعُودِ]

وكتب الصاحب إلى أبي الحسن بن عبد العزيز⁽³⁾:

بِاللَّهِ قُلْ لِي أَقْرَبُ اسْمُ تَخَطُّ بِهِ مِنْ حُلَّةٍ هِيَ أُمُّ الْبَسْتَةِ حُلَا؟

(1) الأبيات للصابي في ابن عباد، تنظر في يتيمة الدهر، ج 2، ص 276، رواية عجز الثالث: قُرِبَ بِبَعْضِ فُصُولِهَا.

(2) المقطعة للبستي في ديوانه الكامل، ص 138. رواية عجز الأول، عن كلِّ بَرٍّ وَاسْتَضَفْنَا الْبَيْتَ الثَّالِثَ مِنْ دِيْوَانِهِ.

(3) البيتان للصاحب بن عباد في ديوانه، ص 268، وفي اليتيمة، 263/3، ورواية عجز الثاني: عَلَى أَفْوَاهِنَا عَسَلًا.

بِاللهِ لَفْظَكَ هَذَا سَأَلَ مَنْ عَسَلَ أَمْ قَدْ صَبَّيْتَ عَلَى الْفَاظِكَ الْعَسَلَا؟

وكتب إلى الأمير أبي الفضل الميكالي جواباً عن كتاب إليه⁽¹⁾:

سُبْحَانَ رَبِّي تَبَارَكَ اللَّهُ مَا	أَشْبَهَ بَعْضَ الْكَلَامِ بِالْعَسَلِ
وَالْمَسْكِ وَالسَّحَرِ وَالرُّقْيِ وَابْنَةِ	الْكَرَمِ وَحَلِيِّ الْحَسَنِ وَالْحُلَلِ
مِثْلَ كَلَامِ الْأَمِيرِ سَيِّدِنَا	نَظْماً وَنَثْراً يَسِيرُ كَالْمَثَلِ

وقال الحامدي⁽²⁾:

أَنِّي أَرَى الْفَاظَكَ الْغُرَا	عَظَّلْتَ الْيَاقُوتَ وَالذُّرَا
لَكَ الْكَلَامُ الْجَمُّ يَا مَنْ غَدَا	أَفْعَالُهُ تَسْتَعْبِدُ الْخُرَا

وإلى أبي نصر العتيبي من قصيدة⁽³⁾:

-
- (1) المقطعة أخلَّ بها ديوان الصاحب بن عباد.
- (2) هو أبو عبدالله محمد بن حامد الحامدي، وحامدة من أعمال واسط، له إشعار قليلة في اليتيمة، ج2، ص 373-374، ولم نظفر بتخريج البيت.
- (3) في الأصل المخطوط ما يلي: وإلى الحامدي وإلى أبي نصر العتيبي، وكتب إليه، وهي في السياق معطوفة على نصٍّ سبقها وهو (وكتب الصاحب إلى أبي الحسن بن عبدالعزيز). وبعدها ما نصّه: (كتب إلى الأمير أبي الفضل الميكالي جواباً عن كتاب إليه)، مما يطرح احتمالاً أن تكون هذه الأشعار الموجهة إلى الحامدي والعتيبي هي من شعر الصاحب بن عباد، وقد بحثت في ديوانه فلم أظفر بنصٍّ منها، والعتيبي هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتيبي من جلساء ابن عباد.

كيف وقلبي حاضراً مثل غائب
وما كنت أرجو من حياة ومهجة
ونار اشتياقي في الحشا والترائب
مكدرة بين النوى والنوائب

(125) وكتب إليه:

وكتبك حولي ما تفارق مضجعي
كأني ملحوظ من الجن نظرة
وفيها شفاء للذي أنا كاتم
وهن حوالي الرقى والتمائم

وكتب ابن يحيى المنجم⁽¹⁾:

بيني وبين الدهر فيك عتاب
يا غائباً بمزاره وكتابه
سيطول إن لم يحبه الإعتاب
هل يرتجى مذ غيبثك إياب
لا تأس من فرج الإله فرئما
يصل القطوع ويقدم الغياب

(1) علي بن يحيى بن المنجم (ت 275هـ) نديم المتوكل العباسي خص به ومن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد، كان رواية للأشعار والأخبار وشاعراً محسناً توفي بسمراء، رثاه عبدالله بن المعتز، من آثاره: أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي وكتاب الشعراء القدماء الإسلاميين، وكان أبوه يحيى فارسي فاسلم على يد المأمون وكان ابنه يحيى بن علي بن يحيى المنجم شاعراً أيضاً وله ديوان الإعلام، 184/5.

قرب اللقاء ووشك القدوم

قال أبو إسحاق الموصلي:

طَرَبْتُ إِلَى الْأَصْنِيَّةِ الصَّغَارِ وَهَاجَ لِي الْهَوَى قَرَبُ الْمَزَارِ⁽¹⁾
وَكُلُّ مُسَافِرٍ يَزْدَادُ شَوْقًا إِذَا دَنَتِ الدِّيَارُ مِنَ الدِّيَارِ

وَصَدَّرَ الصَّاحِبُ كِتَابًا بِهَذِهِ الْأَيَّاتِ⁽²⁾:

إِذَا دَنَّتِ الْمَنَازِلُ زَادَ شَوْقِي وَلَا سِيَمَا إِذَا بَدَتِ الْخِيَامُ
فَلَمَحَ الْعَيْنُ دُونَ الْحَيِّ شَهْرُ وَرَجَعَ الطَّرْفُ دُونَ الشَّهْرِ عَامُ

وَصَدَّرَ أَيْضًا كِتَابًا⁽³⁾:

تَحَدَّثْتُ الرِّكَابَ بِسِيرِ أَرَوَى إِلَى بَلَدٍ حَطَطْتُ بِهِ خِيَامِي
فَكِدْتُ أَطِيرُ مِنْ شَوْقٍ إِلَيْهَا بِقَادِمَةٍ كَقَادِمَةِ الْحَمَامِ

(1) التفت لأبي إسحاق الموصلي في ديوانه، ص 133. ورواية عجز الأول: وهاجك منهم، بتحقيق: ماجد العزّي.

(2) البيتان أخلّ بهما ديوان الصاحب بن عباد بتحقيق الشيخ مجد حسن ال ياسين رحمه الله.

(3) البيتان كتبهما الصاحب إلى القاضي الفضل بن محمد الجرجاني وهما له في ديوانه، ص 279

وفصل له:

قد شارفت النوى أن تنحسم، والمسرة أن تنتظم (25ب).
أنا شائم من لوامع اللقاء ما أرجو أن تصدق رواعده، وتدنو
أباعده، وبإذن الله ومشيته.

له أيضاً: قد هب نسيم القرب، وبدا حاجب الوصل، وخلصت
إلى صبا نجد، وبشرت بمنى النفس.

فصل للهمداني إلى الخوارزمي⁽¹⁾:

أنا نظرب بقرب دار الأستاذ كما طرب النشوان به الخمر من
الارتياح للقاءه، كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج بولائه
كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الاهتزاز لمزاره كما اهتزت تحت
البارح الحصن الرطب.

(1) ما كتبه بديع الزمان الهمداني إلى أبي بكر الخوارزمي موجود في التبيان وهو كتاب الحسين بن محمد بن عبدالله الطيبي (ت 743هـ) ص 361، وفيه أيضاً رد الخوارزمي عليه، وقد وهم صانع ديوان الخوارزمي حامد صدقي إذ ظنه شعراً، وهو في واقعه نثر أعقبته أشطار من الشعر له أو لغيره.

ذِكْرُ الْقُدُومِ

كان النبي ﷺ إذا قفل من غزوة له استقبله صبيان المدينة يُنشدون:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا	مِنْ ثِيَابِ الْوُدَاعِ
[أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا]	جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا	مَا دَعَا اللَّهُ دَاعِي ⁽¹⁾

وللبحتري⁽²⁾:

أَهْلًا بِهَذَا الْمَلِكِ الْمُقْبِلِ	جَاءَ مَجِيءَ الْعَارِضِ الْمُسْتَبَلِ
قَدِمْتَ فَاثْبُلْ يَيْسُ الثَّرَى	وَأَخْضِرْ عُشْبُ الْبَلَدِ الْمُثْمَلِ

وله أيضاً⁽³⁾:

قَدِمْتَ كَمَا جَاءَ النَّدَى تَحْمِلُ الرِّضَا	إِلَى كُلِّ غَضْبَانٍ عَلَى الدَّهْرِ عَاتِبِ
وَجِئْتَ كَمَا جَاءَ الرِّبْعُ مُحَرِّكاً	لَدَيْكَ بِأَخْلَافٍ تَفِي بِالسَّحَابِ
فَعَادَتْ بِكَ الْأَيَّامُ زُهْرًا كَأَنَّمَا	جَلَا الدَّهْرُ فِيهَا عَنْ خُدُودِ الْكَوَاعِبِ

(1) الأبيات في: وفاء الوفا، 262/1، وزاد المعاد، 20/3، وكتاب شعر الدعوة الإسلامية:

بإشراف عبد الرحمن رَأْفَتِ بَاشَا، 112/1، ولم تنسب لأحد غير صبايا المدينة.

(2) البيتان للبحتري في ديوانه، ج3، ص 1846. ورواية عجز الأول: جنت مجيء.

(3) للبحتري من قصيدة في ديوانه، ج1، ص 91، مدح بها محمد بن علي القمي، رواية صدر الأول: قدمت فأقدمت الندى يحمل الرضا، ورواية عجز الثاني: يدك بأخلاق.

(126) وقال للمتوكل وقد رجع من سفرٍ إلى سرٍّ من رأى⁽¹⁾:

لعمري لقد أبّ الخليفة جعفرٌ	وفي كلّ نفسٍ حاجة من قفوله
دعاهُ أهوى من سرٍّ من راءٍ فانكفى	إليها انكفاءً الليثِ تلقاءً غيله
على أنّها قد كان بُدِّلَ طيّبها	ورُحِّلَ عنها أنسها برحيله
ليهن أبنه خيرَ البنينَ محمدًا	قدومُ أبٍ عالي المَحَلُّ جليله
غدا وهو فرْدٌ في الفضائلِ كلّها	فهل مُخَيَّرٌ عن مثله أو عديله

ولما دخل عبدالله بن طاهر نيسابور، وافق دخوله إياها مطرة
جاءت بعد قحطٍ شديدة، فقام إليه رجلٌ وأنشدَهُ:

قد فحطَ الناسُ في زمانهم	حتى إذا جئتَ جئتَ بالمطرِ
غيثانٍ في ساعةٍ لنا قدما	فمرحباً بالأميرِ والمطرِ

فاستحسنها عبدالله لموافقة الحال فقال له: أشاعرُ أنت؟ قال: لا،
قال: أفراوية؟ قال: لا. قال: فماذا أنت؟ قال: بزّارٌ أصلح الله الأمير -
قال: فأنتى لك ما أنشدته؟ قال: سمعتُ رجلاً بالرقّة ينشده فحفظته، فأمر
بأن لا يشتري له شيءٌ من البزِّ إلّا منه أو على يديه.

ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول ابن الرومي⁽²⁾:

(1) من قصيدة للبحري في ديوانه، ص 1633-1635. وهي الأبيات 19-24، وعجز البيت

الرابع: عند دخوله

(2) البيتان لابن الرومي من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 678.

قَدِمْتَ قَدُومَ الْبَدْرِ بَيْتَ سُعُودِهِ وَأَمْرُكَ عَالٍ صَاعِدٌ كَصُعُودِهِ
(26ب)

لَبِستَ سَنَاهُ وَاعْتَلَيْتَ اعْتِلَاءَهُ وَنَاملُ أَنْ تُحْطَى بِمِثْلِ خُلُودِهِ

وقد ظرف الحجاجي في قوله لأبي الفتح بن العميد⁽¹⁾:

يَا قَادِمًا قَرَّتْ بِهِ عَيْنِي أَزَلْتِ عَنِّي وَحِشَةَ الْبَيْنِ
وَأَيْضًا لَهُ⁽²⁾:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِمُشَبِّهِ الْقَمَرِ أَهْلًا يَبْدُرُ جَلًّا دُجَى بَصْرِي
وَكَانَ قَلْبِي مَسَافِرًا مَعَهُ وَالْآنَ عَادَا مَعًا مِنَ السَّفَرِ

وَلَا مَزِيدَ عَلَى قَوْلِ الصَّاحِبِ لِابْنِ الْعَمِيدِ⁽³⁾:

قَالُوا: رِيْعُكَ قَدْ قَدِمَ فَلَكَ الْبَشَارَةُ بِالنَّعَمِ

(1) البيت للحسين بن أحمد الشهير بابن الحجاج في المختار من شعره صنعة الأسطر لأبي من مقطعة، ص 4213، وعنوان المختار "درة التاج من شعر ابن الحجاج"، بتحقيق علي جواد الطاهر، راجعه وزاد في حواشيه محمد حسين الأعرجي المعلم في معهد اللغة العربية في الجزائر.

(2) لم أظفر بالبيتين في ديوانه: درة التاج، وديوان تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج.

(3) المقطعة للصاحب بن عباد في ديوانه، ص 277-278، ط2، بيروت، 1974. رواية صدر

الثاني: أخو الشتا. ورواية بعجز الثالث: يُغْنَى المقل

قلت: الربيع أبو الشتاء

قالوا: الذي بنوالة

قلت: الرئيس ابن العميد

أم الربيع أخو الكرم؟

يحیی المقل من العدم

إذا. فقالوا لي نعم

ومن ذلك قول المتنبي⁽¹⁾:

ما مَنبَجُ مُدِّ غَيْتٍ إِلَّا مُقْلَةٌ

فالليلُ منذ طلعتَ فيها أبيضُ

ما زِلْتُ تدنو وهي تُغْلُو عِزَّةُ

سَهَدَتْ ووجهك نومها والإثمُ

والصُبْحُ منذ رَحَلَتْ عنها أسودُ

حتى توارى في ثراها الفرقَدُ

(1) المقطعة للمتنبي في ديوانه، ص 49، طبعة صادر من قصيدة رواية صدر الثاني: فالليل حين قدمت.

التهاني بالقدوم

قال أبو إسحاق: "أنا أهني نفسي بقدوم سيدي سالماً، وأشكر الله شكراً دائماً، يوجب له فيه دوام التمكين والتأييد واتصال المادة والمزيد"⁽¹⁾.

أبو الفرج (127) البيغاء:

غيبة المكارم مقرونة بغيبتك، وأوبة النعم موصولة بأوبتك،
فوصل الله قدومك، من الكرامة، بإضعاف ما قرن به مسيرك من السلام،
وهناك إياكم، مبلّغك مجابك⁽²⁾.

فصل له⁽³⁾:

ما زلت أيام غيبتك - لا أوحش الله منك - بذكرك مستأنساً
وللشوق إليك مجالسا، إلى أن من الله من أوبتك بما عظمت به النعمة،
وجلت لديّ معه المنحة، فوصل الله بالسلامة نهضاتك، وبالسعادة
حركاتك، وبالتوفيق آراءك وعزماتك.

(1) أبو إسحاق الصابي: إبراهيم بن هلال بن زهرون الصابي الحراني: اوجد العراق في البلاغة وكان قد أدرك التسعين في خدمة الخلفاء العباسيين وخلافة الوزراء، تقلد ديوان الرسائل، وحين مات المهلي اعتقل في جلة عماله عدة سنوات، من مصنفاته كتاب التاجي وقد طبعت قطعة صغيرة منه في بغداد، وأورد الثعالبي في اليتيمة طائفة كبيرة من نشره وشعره، حقق رسائله ونال بها الدكتوراه، الدكتور سعد الله العبودي، توفي سنة 384هـ. الأعلام: 73/1-74.

(2) القطعة مختصرة من نشر ديوانه رقم 18، ص 105-106.

(3) القطعة مختصرة من نشر ديوانه، رقم 19، ص 106.

فصل له⁽¹⁾:

من كان نهاية أمنيته، وقطب مسرّته قريبك، كان من نفسه
مستوحشاً مع بُعدك، وما زلتُ بالنية معك مسافراً، وباتصال الذكرِ
والفكر لك ملاقياً، إلى أن جمع الله شملَ سروري بأوبيتك، وسكّن نافرِ
قلقي بعودتك. فأسعدك الله بمقدمك سعادةً تكون بها من الزمان
محروساً، وللإقبال مقابلاً، وبالأمان ظافراً، ولا أوحش منك أوطان
الفضل، ورباع المجدد بمنّهُ ولطفه.

(1) الفصل مختصر من كتاب البغاء: حياته، شعره، نثره، قصصه، صنعة هلال ناجي، ص 106 -

التهنية بالحج

لم أسمع في مدح الحاج أحسن من قول أبي تمام في أبي سعيد
[محمد بن ويوسف] الثغري:

هَزَّتْ وَائِيَّ غَمَامٍ قَلَقَلْتُ خَضِيلِ ⁽¹⁾	لِلَّهِ وَخَذُ الْمَهَارِي أَيُّ مَكْرُمَةٍ
وَأَفْضَلُ الرُّكْبِ يَنْوِي أَفْضَلَ السَّبِيلِ	خَيْرَ الْأَخْلَاءِ خَيْرُ الْأَرْضِ هَمَّتُهُ
وَالشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْسًا عَلَى الْأَصْلِ	حُطَّتْ إِلَى تَرَبَةِ الْإِسْلَامِ مَجْلِسُهُ
إِلَى الْوَعْيِ غَيْرَ رَغِيدٍ وَلَا وَكَلِ (27ب)	مُلْبِيًا طَالَ مَا لَبَّى مُنَادِيَهُ
مَنْ التَّدْيِ وَاكْتَسَتْ ثَوْبًا مِنَ الْبَخْلِ	وَمُخْرِمًا أَحْرَمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقِ لَهُ
رَمَى بِهَا جَمَرَاتِ الْيَوْمِ ذِي الشُّعْلِ	وَرَامِيًا جَمَرَاتِ الْحَجِّ فِي سَنَةٍ
بِهِ دِمَاءُ ذَوِي الْإِلْحَادِ وَالْتَحَلِ	وَسَافِكًا لِدِمَاءِ الْبُذْنِ قَدْ سَفِكَتْ

فصل للصاحب⁽²⁾:

قد خصتني مواهبُ الله لديك في الحج الذي أدت فرضه، وحرَمَ
الله الذي وطئت أرضه، والمقامَ الكريم [الذي] قُمْتُه، والحَجَرَ الأسود
[الذي] استلمته، حتى وقفت بالموقف العظيم، وسفرت بين زمزم

(1) المقطعة لأبي تمام في ديوانه، ج2، ص 91-92. رواية عجز الثاني: يقرأ، رواية صدر الثالث: إلى عمدة الإسلام أرخله.

(2) لم أظفر بهذين النصين للصاحب في التهنية بالحج في كتابه الفصول الأدبية وفي نثره في البيعة فلعَلهما مما انفردت به مخطوطتنا من نثر أو فيما ضاع من آثاره.

والخطيم، وتعلقت بأستار الكعبة، ونظمت الصفاف إلى المروة ساعياً، وزرت قبر الرسول ﷺ مشافهاً لمشهده، ومباشراً لمسجده، ومشاهداً لمبدأه ومحضره، وماشياً بين قبره ومنبره، ومصلياً عليه حيث صلى، ومتقرباً إليه بالقربة العظمى، وعدت وثوابك مسطور، وذنبك مغفور، وتجارتك لا تبور رابحة، والبركات إليك غادية ورائحة. فصل له أيضاً⁽¹⁾:

أرجحت بما يسره الله لك من الحج إلى البيت العتيق، والفج العميق، فهو موقف الأنبياء الطاهرين ومهبط الملائكة المقربين - صلوات الله عليهم أجمعين - والمنصرف عنه كما أتى به الأثر، ويظهر عنه الخبر: بريء من الذنوب كيوم ولدته أمه، وقد عظم أجره وغنمه، ووضع عنه وزره (128) وإثمه، والله يوفقك لشكر ما أولى لك، وأجل النعمة عليك.

(1) لم أظفر بهذين النصين للمصاحب في التهنئة بالحج في كتابه الفصول الأدبية وفي نثره في البيعة فلعلهما مما انفردت به مخطوطتنا من نثر أو فيما ضاع من آثاره.

الآداب في الإياب

كان النبي ﷺ إذا قدم من السفر قال: آيئون إن شاء الله تائبون شاكرون لربنا حامدون⁽¹⁾.

وعنه ﷺ: "إذا طالت غيبة أحدكم عن وطنه، فلا يطرقن أهله ليلاً"⁽²⁾.

ولما قدم سلمان الفارسي على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال عمر: امضوا بنا نستقبل سلمان.

ولما رجع جعفر الطيار من الطائف ضمّه رسول الله ﷺ إلى صدره، وقبّل بين عينيه، وقال: "ما أدري بأيّهما أسرّ، بقدوم جعفر أم بفتح خيبر؟"⁽³⁾.

والعرب تقول: للمقدام أوبة وطوبة، أي أبت إلى اهلك في عيش طيّب.

وقال مالك بن الريب⁽⁴⁾: أسرُّ الأشياء عندي قفلةً على غفلة.

(1) في صحيح مسلم عن انس قال: أقبلنا مع النبي ﷺ حتى إذا كنا بظهر المدينة قال: آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون، فلم يزل يقول ذلك حتى قدمنا المدينة، التخریج: الأذكار المتخبة من كلام سيد الأبرار للمحافظ يحيى بن شرف النووي، ط4، البابي الحلبي، مصر، 1375هـ-1955م.

(2) رواه جابر عن مسلم، وروايته: إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً، وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري ورد الحديث في كتاب النكاح باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة، خافة أن يخونهم أو يلتبس عثراتهم.

(3) الحديث النبوي في زاد المعاد، 139/2، والمعجم الصغير للطبراني، 19/1، والرحيق المختوم، ص 382، ونصه "والله ما أدري بأيّهما أفرح؟ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر".

(4) مالك بن الريب: من الشعراء الفتاك، شهد فتح سمرقند وتنسك ثم مرض في مرو ولما أحسن بالموت في الغربة قال رائعته المشهورة: إلّا ليت شعري هل أبيت ليلة قال أبو علي الفالي: كان من أجل العرب جمالاً وأبينهم بياناً. الأعلام: 134/1-135.

زيارة القادم والتسليم عليه

قال الجاحظ: قدم علينا جعفر بن القاسم الهاشمي البصرة، فقصدته من يومه وقلتُ له: لم أحب أن يسبقني أحدُ إليك، فقال: لو جئتني غداً كان أشهى للحديث، لأنَّ أوّل يومٍ للقادم لنفسه وأهله، والثاني لخاصّته، والثالث للعمامة.

ولم أسمع في الاعتذار عن تأخّر زيارة القادم أحسن من قول ابن الرومي⁽¹⁾:

يا مَنْ أَوْقَلَ دُونَ كُلِّ كَرِيمٍ	وَيَحُبُّ نَفْسِي دُونَ كُلِّ حَمِيمٍ (28ب)
أَخَّرْتُ تَسْلِيمِي عَلَيْكَ كَرَاهَةً	لِزَحَامٍ مَنْ يَلْقَاكَ بِالتَّسْلِيمِ
وَعَرَفْتُ قِسْمَتَكَ التَّحْفِيَّ بَيْنَهُم	عِنْدَ اللِّقَاءِ كَفَعْلٍ كُلِّ كَرِيمٍ
فَصَبَرْتُ عَنْكَ إِلَى انْكَسَارِ غَمَارِهِم	وَالْقَلْبُ حَوْلَكَ دَائِمُ التَّحْرِيمِ
صَبَرَ امْرئٍ يُعْطِي المَوَدَّةَ حَقَّهَا	لَا صَبْرَ مَذْمُومِ الحِفَاظِ لِتِيمِ

(1) الأبيات لابن الرومي في ديوانه، ج6، ص 2242-2243، من مقطعة. رواية عجز الثاني: للتسليم، ورواية صدر الثالث: وذكرت قسمتك.

إهداء القادم من السفر

عروة عن عائشة عن النبي ﷺ⁽¹⁾: "إذا خرج أحدكم إلى سفر ثم قدم فليهد لأهله ولإخوانه وليظهر فيهم ولو حجارة".

وكتب العباس بن جرير إلى محمد بن عبدالله بن طاهر⁽²⁾:

أنا في الموالة للأمير كنفسه، وفي الطاعة كيدوه، وفي الاختصاص به كأحد أهله، وإنما أطفه من فضله، وأهدي إليه ما هو من عنده، وقد بعثت بما يخدمه في سفرته.

أبو إسحاق الصابي وقد حمل إلى عبد العزيز بن يوسف⁽³⁾:

قد حمّل من أحد منزلي الأستاذ إلى الآخر غرامة الملائف لا هدية المحتفل، والنفس له والمال منه.

(1) رواه البيهقي في سننه عن عائشة رضي الله عنها، سنن البيهقي.

(2) محمد بن عبدالله بن طاهر الخزاعي ولاء (209-253هـ) أمير شجاع من بيت رئاسة، ولي نياحة بغداد أيام المتوكل العباسي، وتوفي بها، كان فاضلاً أديباً شاعراً وكان مائلاً للشعراء وأهل العلم والأدب. الأعلام: 94/7.

(3) أبو إسحاق الصابي: مرت ترجمته. أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الشيرازي (ت 388هـ)، وزير من الكتاب الشعراء تقلد ديوان الرسائل لعضد الدولة البويهبي طول أيامه وعُد من وزرائه وخووص ندمائه، ثم ولي الوزارة دفعات لبعض أولاد عضد الدولة، أورد الثعالبي طائفة حسنة من شعره ونثره في اليتيمة. تنظر يتيمة الدهر: 97-86/2، والأعلام: 155/4.

وكتب ابن المرزبان⁽¹⁾:

وقد خَدَمْتُ غلمانَ سيدنا من رسم العراضة بقليل يوفره
خلوص الحشايا⁽²⁾ أو حركة وطية المطايا.

وكتب آخر:

أسأل الله أن يحرسَ مولاي حاضراً وغائباً، ومقيماً وآيماً، وأن
يزيح هذه الغمم المطيفة بنواحي سفره، ويرجع ضياء المجد إلى وطنه بل
إلى بلده.

وكتب أبو الفرج (129) البيغاء:

وَقَى الله عِزْمَكَ، وَأَنْجَحَ سَعِيكَ، وحفظك فيما تحضره، وفيما
تغيب عنه.

وكتب غيره:

قَدَّمَ اللهُ لَكَ الْخَيْرَ وَالْخَيْرَةَ فِي نَهْوضِكَ وَقُدُوكَ، وجعلَ عليك
واقيةً باقيةً في مشهدك ومغيبك.

(1)

ابن المرزبان: محمد بن سهل بن المرزبان الكرخي البغدادي لم تحدد المصادر تاريخ مولده ولا وفاته، والأغلب أنه توفي في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري صنف كتاب المنتهى في الكمال وهو يضم اثني عشر كتاباً ضاع أغلبها، حقق ونشر د. جليل العطية كتابين منهما هما: الشوق والفراق والحنين إلى الأوطان، وصحح نسبة الأمل والمأمول الذي نسبته رمضان ششن إلى الجاحظ وهو لابن المرزبان غلب عليه الأدب والبلاغة والحكمة، لتب بالباحث عن معتاص العلم. تنظر ترجمته في مقدمة محقق كتبه الدكتور جليل العطية.

(2)

كذا في الأصل.

أحاسن الشعراء في الدعاء للمسافر

أول من قال ذلك الأعشى من قصيدة⁽¹⁾:

تقولُ بُنَيّ وقد قَرَّبْتُ مُرْتَجِلاً : يا رَبُّ جُنُبِ أَبِي الْأَسْقَامِ وَالْوَجَعَا
عليكَ مثْلُ الذي صَلَّيْتُ فاغْتَمَضِي نوماً فإنَّ بِجَنْبِ الْبِرِّ مُضْطَجِعَا

وعلى ذكر شعره فإنَّ الواثق لما أشخص أبا عثمان المازني⁽²⁾ من
البصرة لمسألة في النحو، طاوله الحديث ثمَّ سأله عن ولده فقال: يا أمير
المؤمنين مالي إلا بُنْيَّة، ولا أرى الدنيا إلا بها.
قال: فما قالت المسكينة حين فارقتها؟
قال: يا أمير المؤمنين أنشدتني قول الأعشى وقد خنقتها العبرة⁽³⁾:

تقولُ أبُنَيّ حينَ جدَّ الرَحِيلُ أَرانا سِواءَ وَمَن قد يَتِمُّ

(1) البيتان للأعشى الكبير في ديوانه، ص 101، ورواية عجز الأول: الاوصاب والوجعا، ورواية عجز الثاني: لحنين المرء مضطجعاً.

(2) بكر بن محمد المازني الشيباني الوائلي (ت 246هـ)، من أئمة النحو، بصري ووفاته بها، له تصانيف منها: ما تلمن فيه العامة، والألف واللام، والتحريف، والعروض، والديباج، وكان أبو عثمان مع علمه بالنحو متسعاً في الرواية واسع العلم بمفردات اللغة وغرائبها، ومن المعروف أن عبد الصمد بن المعدل، هجاء بقصيدة مشهورة فردَّ عليه المازني بقوله: لو لزمست مجالسة أهل العلم كان أعود عليك. الأعلام: 44/2، السيرافي، ص 57-65. خير الواثق مع المازني انظره بتفاصيله في كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص 58، مع اختلاف.

(3) الأبيات في ديوان الأعشى، ص 41، من قصيدة.

أَبَانَا فَلَا رِفْثَ مِنْ عِنْدَنَا فَأَنَا بَخِيرٌ إِذَا لَمْ تُرْمَ
أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتَكَ السَّبْلَا دُنُجْفَى وَيُقْطَعُ مِنَّا الرَّجْمُ

قال: فما قلت لهذه المسكينة؟

قال: قلت قول جرير:

يُقِي بِاللَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنُّجَاحِ⁽¹⁾

فاستحسن محاضرتَه، وأمرَ له بألف دينار، وخلَعَ عليه وصرفه
مُكْرَمًا (29ب).
شاعر:

أَدْخَلَ أَبَا بَشِيرٍ بِأَيْمَنِ طَائِرٍ وَعَلَى السَّلَامَةِ وَالسَّعَادَةِ فَاَنْزَلَ

آخر:

لِيَمُضِ بِكَ الصَّنْعُ الْجَمِيلُ مَصَاحِبًا فَإِنَّ دَخِيلَ الْهَمِّ مَنْصَرَفٌ عَنِّي

(1) البيت لجرير في ديوانه، ج 1، ص 89.

وقال البحرني للمتوكل عند مسيرة إلى الشام وهو معه⁽¹⁾:

سَفَرٌ جَدَّدَتْ لَنَا أَلْـ	لَهُوْ آيَاْمُهُ الْجُدْدُ
عَزَمَ اللَّهُ لِلْخَلِيْلِـ	فَتَ فِيْهِ عَلَى الرَّشْدِ
[مَلِكٌ تَعَجَزَ الْبَرِيـ	تَ عَنْ حَلِّ مَا عَقْدُ]
يَا إِمَامَ الْهَوَى الَّذِي أَحـ	تَاطَ لِلدِّينِ وَاجْتِهَدَ
سِرْ بِسَعْدِ السَّعُوْدِ فِي	صَحْبَةِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَأَبْقَ فِي الْعِزِّ وَالْعُلُوْ	لَنَا آخِرَ الْأَبْدِ

وقد أحسن ابن الرومي جداً في قوله⁽²⁾:

إِمَّا عَزَمْتَ عَلَى الرَّحِيلِ فَلَا تُزَلْ	لِلْمَكْرَمَاتِ وَلِلْعُلَى أَحْبَالَا
جَعَلَ الْإِلَهَ لَكَ النِّجَاحَ مَطِيَّةً	وَلَمَّا طَلَبْتَ مِنَ الْأُمُورِ عِقَالَا
لَا كَانَ هَذَا الْعَهْدُ آخِرَ عَهْدِنَا	بِكَ، لَا وَلَا كَانَ الزِّيَالُ زَوَالَا

وأحسن منه قول أبي الطيب المتنبي لسيف الدولة⁽³⁾:

سِرْ حَلْ حَيْثُ تُخْلُهِ النُّوَارُ	وَأَرَادَ فِيكَ مُرَادَكَ الْمِقْدَارُ
--------------------------------------	--

(1) المقطعة للبحرني من قصيدة في ديوانه، ج2، ص 708، وقد استضفنا البيت الثالث من ديوانه.

(2) المقطعة اخُلِّ بها ديوان ابن الرومي.

(3) من قصيدة للمتنبي في ديوانه، ص 277.

وَإِذَا ارْتَحَلْتَ فَشَيِّعُكَ سَلَامَةً حَيْثُ انْجَهْتَ وَدِيمَةً مِذْرَارُ
وَأَرَاكَ دَهْرَكَ مَا تُحَاوِلُ فِي الْعَدَى حَتَّى كَانَ صُرُوفُهُ أَنْصَارُ (130)

وقال السري أيضاً: [يمدح ناصر الدولة في وقت مسيره إلى العراق] ⁽¹⁾

سِرَّ سَرُّكَ اللَّهُ فِيمَا أَنْتَ مَتَنَظِّرُ فَقَدْ جَرَى بِالذِي تَهْوَى لَكَ الْقَدَرُ
وَأَسْعَدْتِكَ بِمَا أَمَلْتَ أَرْبَعَةً الْعِزُّ وَالصَّنْعُ وَالْإِقْبَالُ وَالظَّفَرُ

أبو الفرج البغاء في قصيدة ⁽²⁾:

بَاعِزٌ مَرْتَحِلٍ وَأَيْمَنُ مَقْدَمٍ حَكَمَتِ لِحَظِّكَ طَالَعَاتُ الْأَنْجَمِ

(1) الأبيات للسري الرفاء في ديوانه، ج 1، ص 184. رواية الثاني: واظفرتك النصر والفتح والإقبال والظفر.

(2) البيت أُخِلَ به ديوانه.

وداع السادة والرؤساء

ودّع الحسنُ بن سهلِ المأمونَ، فلما أراد أن ينصرف عنه قال له
المأمونُ ألك حاجة يا أبا محمد؟

قال: نعم يا أمير المؤمنين، تحفظ عليّ من قلبك ما لا أستعينُ
على حفظه إلا بك⁽¹⁾.

ومن أحاسن البحري في الوداع قوله⁽²⁾:

أقولُ لَهُ عند توديعه وكلُّ بعبرته مُبلسُ
لئن قَعَدتْ عنكَ أجسامنا لقد سافرتْ مَعَكَ الأنفُسُ

وقوله أيضاً⁽³⁾:

سأقيمُ بَعْدَكَ عِنْدَ غيرِكَ عالماً عِلْمَ الحَقِيقَةِ أَنِّي ساضِعُ
وأودّعُ الإحسانَ بَعْدَكَ واللّهُ إن كان منك البَيْنُ والتوديعُ

(1) الحسن بن سهل (ت 236هـ) وزير المأمون، من كبار القادة والولاء في عصره، كان أديباً فصيحاً كريماً وهو والد بوران زوجة المأمون، وكان مُمدّحاً توفي في سرخس من بلاد خراسان. الأعلام: 207/2.

(2) البتان للبحري في ديوانه، ج2، ص 1129، قالهما في وداع سليمان بن وهبة، رواية الأول: عند توديعنا، بمجاءته.

(3) الأبيات من قصيدة قالها البحري في وداع إبراهيم بن الحسن بن سهل بديوانه، ج2، ص 1314-1315، رواية الثاني: سأودع.. إذا حان.

وَسَأَسْتَقِلُّ لَكَ الدَّمْعَ صَبَابَةً وَلَوْ أَنَّ دَجَلَةَ لِي عَلَيْكَ دَمْعُ

ومن مشهور هذا الباب وسائره قول دعبل:

وَدَاعُكَ مِثْلُ وَدَاعِ الرِّبِيعِ وَفَقْدُكَ مِثْلُ افْتِقَادِ الدَّيْمِ⁽¹⁾
(30ب) عَلَيْكَ السَّلَامُ فَكَمْ مِنْ وَفَاءٍ أَفَارِقُهُ مِنْكَ لَا مِنْ كَرَمٍ

وقال مسلم بن الوليد⁽²⁾:

وَلَأَنِّي وَإِسْمَاعِيلٌ عِنْدَ وَدَاعِهِ كَالْغَمْدِ يَوْمَ الرُّوحِ زَايِلُهُ النَّصْلُ
فَإِنْ أَغْشَى قَوْمًا بَعْدَهُمْ أَوْ أَزَوْرَهُمْ فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الْإِنْسِ الْخَلُّ

وللمتنبى في سيف الدولة⁽³⁾:

يَا رَاحِلًا كُلُّ مَنْ يُودِّعُهُ مُودِّعٌ دِيْنُهُ وَدُيْنَاهُ
كَأَنَّ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ مِنْكَ مَزِيدٌ فَزَادَكَ اللَّهُ

(1) البيتان لدعبل الخزاعي في ديوانه، ط2، ص 248، بتحقيق عبد الكريم الأشتر، ورواية عجز

الثاني: نفارقه، وقد نسبنا إلى إسحاق بن إبراهيم في كتاب الحكم والأمثال، ص 179.

(2) البيتان لمسلم بن الوليد في ذيل ديوانه، ص 332-333، من قصيدة رواية الأول: يوم وداعه

.. فارقه النصل، ورواية عجز الثاني: يستدنيه للقنص بالخل.

(3) البيتان للمتنبى في ديوانه، ص 252، قاهما مودعاً أبا العشائر ورواية صدر الثاني: إن كان

فيما نراه من كرم.

وللنامي فيه⁽¹⁾:

أودعُ لا آلي أودعُ طائعاً
رعاك الذي استرعى بسيفك دينه
وأرجعُ لا ألقى سوى الوجد صاحباً
وأعطي بكرهي الدهر ما كنتُ مانعاً
ولقائك روض العيش أخضر يانعا
لنفسي إن ألفتُ بالنفس راجعا

وللصاحب في ابن العميد⁽²⁾:

أودعُ منك أنواء السحاب
فأوص الدهر بي خيراً فحسبي
ولا بك أوصني بالدهر خيراً
وقد غادرتَه يخشى عقابي
وهبَ أحداؤه قد سألبتني
أليسَ أسيرُ عن هذا الجنب؟
وعيشاً بين أفنية رحاب
فقلبُ الدهر واشٍ ذو انقلاب

وأحسن وأظرف قوله أيضاً⁽³⁾: (131)

أودعُ حُضرَتكَ العالِيَّة
ومن ذا يودعُ هذا الجنب
ونفسي لا أدمعي هامية
فتنهاه من بعده العافيه

(1) المقطعة مما يُستدرَك على ديوان النامي.

(2) المقطعة أُخِلَ بها ديوان الصاحب بن عباد في طبعته الثانية.

(3) المقطعة للصاحب بن عباد من قصيدة في ديوانه، ص 302-303، والمقطعة له في مخطوطة رُوح الرُّوح، الورقة 194. ورواية عجز الثاني: فتنهوه بعده العافية، ورواية صدر الثالث: جناب رعيت، ورواية الرابع: ولو كنتُ إذا سرت في جملة.

جنابُ رحيبُ به جنةُ
وإن كنتَ تأذنُ لي في المسيرِ
سبقتُ جوادكَ مدَّ الطريقِ

قطوفُ مكارمها دائيةُ
إذا رَحَلتُ جملةَ الحاشيةِ
وسرتُ وفي يدي الغاشيةِ

وداع الأخوان والأصدقاء

ودّع الحسن البصري صديقاً له وعيناه تفي من الدمع وقال⁽¹⁾:

وما الدهرُ والأيامُ إلا كما ترى رزِيّة مالٍ أو وداع حبيبٍ

وودّع أبو العالية سعيد بن وهب ثم بكى وأنشد:

إن نعيشُ نجتمع وإلا فما الشـ غلُ من ماتٍ عن جميع الأنام⁽²⁾

وودّع أبو تمام بعض إخوانه في شهر رمضان⁽³⁾:

لأودّعنك ثم تدمعُ مُقلتي إنّ الدموعَ هي الوداعُ الثاني
وأصومُ بعدك عن سِواكَ واغتدي متقلداً صومين في رمضان

(1) الحسن بن يسار البصري (21-110هـ)، تابعي أمام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، ولد بالمدينة، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب ؓ وسكن البصرة وكانت له هبة في الناس، صنّف عن إحصان كتاباً، قال الغزالي: كان الحسن البصري أشبه كلاماً بكلام الأنبياء وأقربهم هدياً من الصحابة، وكان غاية في الفصاحة، تنصب الحكمة من فيه. الأعلام: 242/2.

(2) سعيد بن وهب (ت 208هـ)، شاعر أكثر شعره في الغزل والخمر، ولد ونشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد وتقدم عند البرامكة، وتنسك في كبره، مات ببغداد. الأعلام: 157/3.

(3) التنفّة لأبي تمام في ديوانه، ج 3، ص 340.

وَمَا يُنْسَبُ إِلَى نَفَرٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْحُسَيْنِ وَطَيْبِهِ⁽¹⁾:

وَدَعَنِي حَيْثُ لَا تودعه
ثُمَّ تَوَلَّى وَلِلْفُؤَادِ بِهِ
روحِي وَلَكِنَّهَا تَسِيرُ مَعَهُ
ضَيْقُ مَكَانٍ وَلِلْهَمُومِ سَعَهُ
فصل لعلي بن القاسم⁽²⁾

أَلْفَيْتُهُ فِي مَجْلِسِ قَلْعَةٍ، تَوُذُنُ لِلْبَيْتِ بِسُرْعَةٍ (33ب)، حَتَّى إِذَا مَدَّ
يَدَهُ إِلَى التَّوْدِيعِ مَلَكَتْنِي الْحَيْرَةُ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَيَّ اللَّكْنَةُ، وَأَسْكَتْنِي الْغَمَةُ،
فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ غَيْرَ أَنِّي قَمْتُ مِنْ مَجْلِسِهِ، وَقَدْ شَجِيتُ بِزَفَرْتِي، وَخَمَمْتُ
عَلَى قَلْبِي كَرْبِي، وَمَلَكَتْنِي لِفَرْقَتِهِ حَرْقَةُ تَتَغَلَّغِلُ بَيْنَ اللَّهِاءِ وَالتَّرَاقِي،
وَخَنَقْتَنِي لَوُدَاعِهِ عِبْرَةُ تَحْيَرْتُ بَيْنَ الْجَفُونِ وَالْمَآقِي، ثُمَّ شَفِيتُ غَلِيلِي بِمَا
اسْتَدْرَرْتُهُ مِنْ أَسْرَابِ الدَّمْعِ الْمُتَحِيرَةِ، وَخَفَّفْتُ عَنِّي بَعْضَ الْبِرْحَاءِ بِمَا
امْتَرَيْتُهُ مِنْ أَخْلَافِهَا الْمُتَحَدِّدَةِ.

وسمت أبا بكر الخوارزمي يقول:

أَنَا لَا أُوَدِّعُ الْأَصْدِقَاءَ وَالْأَحِبَّةَ، لِأَنَّ إِمَامِي فِي تَرْكِ الْوُدَاعِ سَيِّدُنَا
الْبَحْتَرِي وَهُوَ الْقَائِلُ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ سُرْمَرًا وَلَمْ يُوَدِّعْهُ:

اللَّهُ جَارُكَ فِي انْطِلَاقِكَ تِلْقَاءَ شَامِكَ أَوْ عِرَاقِكَ⁽³⁾

(1) لم أعرف قائله.

(2) لم أظفر بترجمته.

(3) المقطعة للبحثري في ديوانه، ص 1499-1500، ورواية صدر الرابع: وذكرت ما يجيد
المودع... ورواية صدر الخامس: بابن بكاءنا..

ري يوم سرتَ ولم الاقك	لا تُغـلّـتني في مـسيـ
للبنين تستفح غـربـ مايقك	إني خـشيتُ مـواقفـاً
ع عند ضـمـك واعتناقك	وعلمتُ ما يلقى المود
حسب اشياقي واشتياقك	وعلمت أن لقاءنا
وخرجتُ أهربُ من فراقك	فتركـتُ ذاك تـعمـداً

ومن ملح هذا الباب قول ابن الناصر⁽¹⁾:

وداع الحبيب وقلبي وصـبـ	كان يميني لما أبـتـ
وقد حـولت حية تضطرب ⁽¹³²⁾	يمين ابن عمران عند العصا

وقلتُ من قصيدة⁽²⁾:

وحنة مُشتاقٍ وألة فاقد	ولما وقفنا بين زفرة واجد
فما فاض لكن غاض فعل معاند	حللت عقود الدمع مستروحاً به
فما ساعدتني عند ذلك ساعدي	وحاولت بسط الباع مني مودعاً

(1) ابن الناصر: لم أظفر بترجمته.

(2) الأبيات أُخِلَّ بها ديوان الثعالبي المنشور في المورد.

ذكر التشيع

شَيَّعَ حُمَيْدُ الطُّوسِي⁽¹⁾ المأمونَ عند شخوصه إلى سفر، فلمَّا بلغ
نهاية المشيِّع صرَّفَهُ وتمثَّلَ بقول الشَّاعر:

عجباً لقلب متيِّمٍ أحبابه ساروا وخُلفَ كيف لا يتقطَّعُ
ارجعْ فَحَسْبُكَ ما تبتغى ركابنا إنَّ المشيِّعَ لا محالة يَرْجعُ

ومَّا يستطرف لأبي بكر البلدي قوله⁽²⁾:

صَدَّنِي عن حلاوة التشيع اجتنابي مرارة التوديع
لم يَقمْ ذا منه بوحشة هذا فرأيتُ الصوابَ تركَ الجميعِ

وقلتُ لصديقٍ لي⁽³⁾:

لَمَّا تَرَحَّلْ عَنِّي شَمَامَةَ الْأَصْدِقَاءِ
شَيَّعْتَهُ بِكَأَنِّي وَحَرَقْتِي وَدَعَائِي

(1) حميد الطوسي (ت 210هـ) من كبار قواد المأمون العباسي كان جباراً فيه قوة وبطش وكان

المأمون يندبه للمهلب: الأعلام: 318/2.

(2) البيتان للخباز البلدي في ديوانه، ص 24. وصدر البيت الثاني: لم يَقمْ أنسُ ذا بوحشة هذا.

(3) بما يستدرك على مجموع شعر الثعالي.

غيبية الرؤساء والأصدقاء والأحباء

مما يستحسن لأشجع السلمي قوله في يحيى بن خالد البرمكي⁽¹⁾:

قد غابَ يحيى فما أرى أحداً يأسُ إلا بذكره الحسنِ
لولا رجاءُ الإيابِ لانصدعتُ قلوبنا بعده من الحزنِ (32ب)

ومن أحسن ما قيل في هذا الباب قول مالك بن مسمع للأحنف بن قيس⁽²⁾: "يا أبا بجر، والله ما اشتاقُ الغائبَ إذا حضرت، ولا انتفع بالحاضر إذا غبت".

وقد أخذَ الشعراءُ معناه فأكثروا، منهم إبراهيم بن العباس [الصولي] حيث يقول⁽³⁾:

وأنتَ هوى النفسِ من بينهم وأنتَ الحبيبُ وأنتَ المطاعُ

(1) البيتان لأشجع السلمي في ديوانه، ص 267. مالك بن مسمع الربيعي (ت 73هـ) سيد ربيعة في زمانه، توفي بالبصرة وخلفه كثير، وكان أعور لإصابته في معركة، وكان يقال ساد مالك بمحبة العشير، له الأعلام: 146/6.

(2) الأحنف بن قيس (ت 72هـ) سيد تميم في زمنه، وأحد الدهاء الفاتحين الشجعان شهد فتوح خراسان يضرب به المثل في الحكم، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام له أخبار كثار، وله خطب لم تجمع. ينظر الأعلام: 263-262/1.

(3) البيتان لإبراهيم بن العباس الصولي في الطرائف الأدبية، ص 146، ورواية صدر الثاني: إن بعدوا وحشة.

فما بك إن بُعدوا وحدةً ولا معَهُم إن بُعدتَ اجتماع

ومنهم العلوي الحماني يقول⁽¹⁾:

إذا كنتَ لم أفقد الغائبين وإن غبتَ كنتَ فريداً وحيداً
تباعدُ نفسي إذا ما بُعدتَ فليستَ تعودُ إلى أن تعودا

ومنهم البحري وناهيك بقوله⁽²⁾:

لغبتَ مغيّبَ البدرِ عتاً ومن ييت بلا قمرٍ يَدُمُّ سوادَ الغياهِبِ
رحلتَ فلم نأنسْ بمشهدٍ شاهدٍ وأبتَ فلم نحفلُ بعُيُنة غائبِ

ولم يحسن الصنوبري في قوله⁽³⁾:

إذا غاب من أحبيته غاب وده ويقرب متي الودّ وهو قريبُ
كشخصٍ تُريك الشمسُ في الأرضِ ظلهُ فإن غابَ غاب الظلُّ حين يغيبُ

(1) البيتان للعلوي الحماني في ديوانه، ص 52، من مقطعة ورواية عجز الثاني: فليست تعاود حتى تعودا.

(2) البيتان للبحري في ديوانه، ج 1، ص 91، من قصيدة: رواية عجز الثاني: فلم أخفل.

(3) البيتان يستدركان على ديوان الصنوبري وذيله وتمته.

وأحسنَ كشاجم في معناه⁽¹⁾:

قلتُ وقالوا غابَ أحبابُه واستبدلوا البعدَ من القُربِ (133)
والله ما شطَّتْ نوى راحلٍ سارَ من العينِ إلى القلبِ

ومَن سلكَ طريقةَ الصنوبري في غيبةِ الودِّ مع غيبةِ الشخص،
يزيد بن محمد المهلي وصير البيت الآخر متمثلاً في قوله⁽²⁾:

إذا ما استبدلَ الوامقُ بُعدَ الدارِ بالقُربِ
ولم يبقَ سوى التذكارِ والإخبارِ بالكُتبِ
فقد رُئِيتُ قُوى الوصلِ كما رُئِيتُ قُوى الحبِّ
ومن غابَ عن العينِ فقد غابَ عن القلبِ

والله أنا استحسن قول ابن طباطبا⁽³⁾:

نَفسي الفداء لغائبٍ عن ناظري وعملَه في القلبِ دون حجابِه

(1) البيتان في ديوان كشاجم، ص 54، ورواية الأول:

قلتُ وقالوا بأنَّ إخوتَه قد أبدلوه البعدَ بالقُربِ

ورواية صدر الثاني: نرى صاحب. وفي هامش مخطوطتنا: نرى صاحب.

(2) أبيات يزيد بن محمد المهلي، أخلَّ بها مجموع شعره صنف يونس أحمد السامرائي رحمه الله.

(3) البيتان لابن طباطبا في ديوانه، ص 28 من مقطعة.

لولا تمتع مقلتي بلقائه لو هبتها لمبشري بإيابه

فإن الرقة تقارن البركة وأنشدني أبو بكر الخوارزمي⁽¹⁾:

غابوا فصار الجسمُ من بعدهم ما تعمل الشمسُ له قيا
بأيٍّ وجّهٍ أتلّقاهاهم إذا رأوني بعدهم حيا
واخجلتي منهم ومن قولهم ما ضرّك الفقدُ لنا شيا

وأنشد ابن حبيب المذكر⁽²⁾

استودع الله حبيباً ظعن ألفت ما بيني وبين الحزن (33ب)
إن غاب عن عيني تمّأله ذكرّنيه كلّ شيءٍ حسن

وأنشدني غيره لبعض الكتاب:

توحّشت المدينة حين غبتم وقلّ بها الملاطف والصدق
وضاق عليّ فيها كلّ رخب وكيف وقد نأيتم لا تضيق

(1) مما أنشده الخوارزمي ولم ينسبه إلى نفسه.

(2) حبيب المذكر: لم أقف على ترجمته.

وقلت⁽¹⁾: [الثعالي]

حللت من مهجتي السواد
غيّبت عن ناظري الرقاد

يا غائباً عن سواد عيني
ما غبت عن ناظري ولكن

⁽¹⁾ البيتان أُخِلَّ بهما شعر الثعالي المنشور في المورد.

التلاقي بالنفوس مع تباين الجسوم
والتراني بالقلوب دون العيون

فصل لابن العميد:

نحن في الظاهر على افتراق، وفي الباطن على تلاق، ولئن
تفارقت الأشباح، لقد تعانقت الأرواح.

الصاحب بن عباد:

نحن على بُعد الديار، وشطّ المزار، نتناجى بالضمائر، ونتخاطب
بالسرائر، وإذا حضرت القرب بالإخلاص، لم يضرّ البعد بالأشخاص.

وله أيضاً:

قد سارت نفسي بمسيرك، فهي نازلة لديك، موقوفة بالإخلاص
عليك، وأنا أناجيك بخواطر قلبي، وإن كان قد غُيب شخصك عني.

البيغاء:

إن تراخى اللقاء فأنا نتلاقى على البعاد، ويتلاقى نظر العين بنظر
الفؤاد. (134)

الصباي:

التلاقي بالقلوب غرض الأخوان، كما أن التلاقي بالنفوس
غرض العشاق، والعاشق يقنع بالرؤية مع الإعراض، والصديق يحتمل
الفرقة مع الإخلاص.

وفي هذا المعنى يقول منصور الفقيه⁽¹⁾:

قد قلتُ لما أن شكتُ تركي زيارتها خلوبُ
إنَّ التباعد لا يضرَّ إذا تقاربتِ القلوبُ

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول أبي عيينه المهلي⁽²⁾:

جسّمي معي غير أنَّ الرُّوحَ عندكمُ فالروحُ في غربّةِ والجسمُ ف وِطْنِ
فليعجب النَّاسُ مِنِّي إنَّ لي بدناً لا روحَ فيه، ولي روحٌ بلا بدنٍ

وقول الثاني وهو العتّابي⁽³⁾:

إذا اشحطتني عن أخي غربّةِ التّوى وزايلَ طرفي طرفه قامَ في وهمي

(1) البيتان لمنصور الفقيه في ديوانه، ص 71، صنعة عبد الحسّن فراج القحطاني، ط2، 1981.

(2) البيتان لأبي عيينه المهلي في ديوانه، ص 40 صنعة محمد عامر غديرة، دمشق، 1967، من مقطعة.

(3) البيتان أخلّ بهما ديوان العتّابي صنعة ناصر حلاوي رحمه الله، وبعد البيتين شطر لا صلى له بما قبله ولا ما بعده، ونصّه: شكري ويستره وضوح عذري، وربما كان نصّاً سقط بعضه.

أَصَوْرُهُ فِي الْقَلْبِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَحِيطُ بِهِ كُلُّ أَحْوَالِهِ عِلْمِي
وَكُتِبَ أَبُو الْخَطَّابِ الصَّابِي⁽¹⁾:

مع رقعتي هذه قراضة من العُرَاضة برسم التذكرة، ومولاي
يتقدم إلى الغلمان بتسلّمها منعماً عليّ، وحاملاً لي على رسم العبد مع
مولاه في (34ب) استعمال الاقتصار والاقتصاد دون المكاثرة والاحتشاد
إن شاء الله.

وكتب بعض الظرفاء إلى بعض الظرفاء مع حاتم أهده له:

عراضي خاتمَ لسيدنا الـ مشكور من عبده وخادمه
لو نقشتُ مقلّةً بناظرها لصيرَ النقش⁽²⁾ فصّاً خاتمه

نَحْمُ الْكِتَابَ

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(1) لعل كنية (أبو الخطّاب) من وهم الناسخ.

(2) في الأصل المخطوط كلمة (فص) تحت كلمة نقيش.

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

المصادر والمراجع

أحاسن المحاسن: الثعالبي، رسالة دكتوراه جامعية، تحقيق: د. ياسر أحمد
فياض الفهداوي، كلية الآداب بجامعة الأنبار، مطبعة
بالرونيو.

أخبار النحويين البصريين، تأليف الحسن بن عبد الله السيرافي، حققها: طه
محمد الزيني، ومحمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، 1955.

الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ تأليف شيخ الإسلام محيي الدين
أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي الشافعي (ت
676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأعلام: خير الدين الزركلي، 11 جزء، ط2، القاهرة، 1959.

الأمثال: أبو بكر الخوازمي، الجزائر، 1994، حققه محمد حسين
الأعرجي.

آل وهب من الأسر الأدبية في العصر العباسي، تأليف وتحقيق يونس أحمد
السامرائي، بغداد، 1979.

البغاء: حياته، ديوانه، رسائله، قصصه، تحقيق هلال ناجي، بيروت، دار
عالم الكتب، بيروت، 1418هـ-1998م.

البيان والتبيين: الجاحظ، ج1، ص 208، حققه العلامة عبد السلام محمد
هارون، القاهرة.

تاريخ حكماء الإسلام: خير الدين البهقي، تحقيق محمد كرد علي،
ط21، دمشق، 1979.

التبيان في علم المعاني والبديع والبيان: تأليف الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (ت 743هـ)، حققه: د. هادي عطية مطر الهلالي، بيروت، 1987.

تحسين القبيح وتقبيح الحسن: الثعالبي: حققه شاكراً العاشور، ط3، 2008، دمشق، دار الينابيع.

تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباكفوري، صححه عبد الوهاب عبد اللطيف، عشرة أجزاء، القاهرة.

التشبيهات: ابن أبي عون، حققه أحمد خان، كمبردج، المملكة المتحدة. تلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج: حققه نجم عبد الله مصطفى، تونس، سوسة، دار المعارف، والديوان من اختيار جمال الدين محمد بن نباته، 2001.

التمثيل والمحاضرة: الثعالبي، حققه عبد الفتاح الحلو، القاهرة، 1384هـ-1961م.

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: الثعالبي، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، 1384هـ-1965م.

الحكم والأمثال: أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري، حققه محمد دبوسة ومحمد مهدي وعفاف عمران، القاهرة، 2006.

حماسة ابن الشجري: حققها الملوحي وأسامة الحمصي، ق2، ص 799، دمشق، 1970.

الحنين إلى الأوطان: ابن المرزبان، حققه جليل العطية.

درة التاج من شعر ابن الحجاج: الحسين بن أحمد الشهير بابن الحجاج،
حققه علي جواد الطاهر، كولونيا، ألمانيا، منشورات الجمل،
2009.

ديوان ابن الرومي: ستة أجزاء، تحقيق: العلامة حسين نصار، القاهرة.
ديوان إسحاق الموصلي، ماجد العربي، بغداد، 1970.
ديوان أبي تمام: أربعة أجزاء، تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة.
ديوان أبي الفتح البستي، الكامل، تحقيق شاهر العاشور، دمشق.
ديوان أبي فراس الحمداني، طبعة مؤسسة البابطين حسب المخطوطة
التونسية بإشراف: د. محمد بن شريفة.

ديوان أبي نؤاس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت.
ديوان أبي نؤاس برواية الصولي، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديشي،
بغداد، 1980.

ديوان أبي نؤاس الحسن بن هاني الحكمي، تحقيق ايفالد فغنر، الجزآن
الأول القاهرة، 1958، الجزء الثاني: فيسبادن، 19872.
ديوان أشجع السلمي حياته وشعره: حققه خليل بنان الحسون، بيروت،
1981.

ديوان الأعشى الكبير: تحقيق محمد محمد حسين، ط1، القاهرة، 1950.
ديوان أبي عيينه المهلي، صنعة محمد عامر غديرة، دمشق، 1967.
ديوان البحري: أربعة أجزاء، تحقيق حسن كامل الصيرفي رحمه الله.
ديوان بشار بن برد، أربعة أجزاء، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور رحمه
الله، القاهرة، 1950--1966 مطبعة لجنة التأليف والترجمة
النشر.

- ديوان الثعالبي: صنعة د. محمود عبد الله الجادر رحمه الله، بغداد، 1990.
- ديوان جرير بن عطية الخطفي، جزآن، تحقيق نعمان محمد أمين طه،
وشرح محمد بن حبيب، القاهرة، 1969.
- ديوان حاتم الطائي، دار صادر.
- ديوان دعبل بن علي الخزاعي، حققه د. عبد الكريم الأشر، ط2،
دمشق، 1403هـ-1983م، مطبوعات مجمع دمشق.
- ديوان السري الرفاء الموصلي، جزآن، تحقيق د. حبيب الحسيني رحمه الله،
بغداد، 1981.
- ديوان صاحب بن عباد، جمعه وحققه الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه
الله.
- ديوان الصنوبري، تحقيق إحسان عباس رحمه الله، بيروت، وصنع له ذيلًا.
- ديوان ابن طباطبا، جمعه وحققه جابر عبد الحميد الخاقاني رحمه الله،
بغداد، مطبوعات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين، 1975.
- ديوان العتابي: كلثوم بن عمرو العتابي، صنعة د. ناصر حلاوة رحمه الله،
نشر في حولية آداب جامعة البصرة، السنة الثانية، ع2، 3
عام، 1969.
- ديوان علي بن الجهم: ديوان القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني حققه
وذيل عليه خليل مردم بك، ط2، 2003.
- ديوان علي بن محمد العلوي الحمانى، صنعة محمد حسين الأعرجي، دار
صادر، ط2، بيروت، 1998.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، طبعة صادر.
- ديوان كشاجم، حققه خيرية محفوظ، بغداد.

ديوان المتنبي: دار صادر، 1958.

ديوان مسلم بن الوليد: شرح ديوان صريح الغواني حققه د. سامي الدهان، مصر، ط2، 1970.

ديوان المعاني: العسكري أبو هلال، بتصحيح كرنكو، مكتبة القدسي بالقاهرة، 1325هـ.

ديوان منصور الفقيه، صنعة عبد المحسن فراج القحطاني، ط2، 1982.

ديوان النامي: أحمد بن محمد النامي المصيصي، حققه صبيح رديف، بغداد، 1970.

ديوان يزيد بن محمد المهلي: صنعة يونس أحمد السامرائي ضمن كتاب شعراء عباسيون.

ديوان اليزيديين: حققه د. محسن غياض.

ديوان يزيد بن معاوية، حققه واضح الصمد، دار صادر، بيروت، 1998.
الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية، للشيخ صفى الرحمن المباركفوري، دار الوفاء، مصر.

رُوح الرُّوح: مخطوطة مختارات شعرية أصلها في المكتبة الوطنية بباريس وصورتها لدى الباحث.

ريحانة الألباء: أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، مصر، عيسى البابي الحلبي، 1967.

زاد المعاد في هدى خير العباد: ابن القيم الجوزية، راجعه طه عبد الرؤوف طه، البابي الحلبي، مصر، أربعة أجزاء، 1390هـ-1970م.

سنن الترمذي (الجامع الصحيح): لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة
(209-297هـ)، خمسة أجزاء، القاهرة، حققه أحمد محمد
شاكر، 1356هـ-1937م.

سنن الحافظ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (207-275هـ)، حققها
محمد فؤاد عبد الباقي، مجلدان، دار إحياء التراث العربي.
سنن النسائي: أحمد بن شعيب بن علي النسائي.

شرح القصائد التسع المشهورات: النحاس، حققه د. محمد خطاب العمر،
بغداد، مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام.

شرح المختار من شعر بشار: الخالديان، لجنة التأليف والترجمة والنشر،
القاهرة، شرحه النجيب البرقي وحققه محمد بدر الدين
العلوي، القاهرة، قدم له الميمني، سنة 1934.

شعر ابن المعتز: ثلاثة أجزاء، حققها يونس أحمد السامرائي رحمه الله.
شعر صاحب الزنج: حققه أحمد جاسم النجدي، مجلة المورد، المجلد
الثالث، العدد الثالث، 1974م، بغداد.

شعر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، المنشور في مجلة كلية الآداب، جامعة
البصرة، صنعة فحطان عبد الستار الحديثي.

شعر الدعوة الإسلامية، بإشراف عبد الرحمن رأفت باشا، حققه عبد الله
ابن حامد الحامد، الرياض، 1391هـ-1971م.

شعر العطوي، صنعة مجد جبار المعبيد، مجلة المورد، العددان (1-2) المجلد
الأول، 1971، بغداد.

الشوق والفراق: محمد بن سهيل بن المرزبان، حققه جليل العطية، دار
الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م.

صحيح الجامع (الجامع الصحيح)، صحيح مسلم بن الحجاج القشيري
(ت 261هـ) بتصحیح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء
التراث العربي، 1955-1956.

الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري، دمشق، 1981، ستة أجزاء.
عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، شرح نزار رضا،
بيروت، 1965.

طبقات فحول الشعراء: الجمحي، جزآن، حققها العلامة الشيخ محمود
شاكر، القاهرة.

الطرائف الأدبية، عبد العزيز الميمني الراجكوتي، دار الكتب العلمية،
بدون تاريخ، والمقدمة حررها أحمد أمين سنة 1937.

الفصول الأدبية: الصاحب بن عباد، حققها الشيخ محمد حسن آل ياسين
رحمه الله،

الفصول القصار: عبد الله بن المعتز، جمع وتحقيق يونس أحمد السامرائي
رحمه الله، بغداد، 2002.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: 16 جزء - للعلامة علاء الدين
علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري، مؤسسة
الرسالة، بيروت، 1399هـ-1979.

اللطائف والظرائف: الثعالبي، مصر، المطبعة الوهيبية، 1296هـ، صنعة
أبي نصر المقدسي وجمع فيه كتاين للثعالبي.

المبهبج: الثعالبي: حققه الأستاذ إبراهيم صالح، دمشق، دار البشائر.
مجمع الأمثال، جزآن، الميداني أحمد بن محمد النيسابوري، القاهرة، حققه
محمد محيي الدين عبد الحميد، ط2، 1959.

المستقصى، جزآن، الزمخشري، حيدر آباد الدكن، 1381هـ-1962م.
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، صنعة محمد فؤاد عبد الباقي،
القاهرة، 1364هـ.

المنجد: الأب لويس شيخو اليسوعي، بيروت.
نكت الهميان في نكت العميان: الصفدي، باعتناء أحمد زكي باشا، مصر،
1910.

يتيمة الدهر: الثعالبي، أربعة أجزاء، حققها محمد محيي الدين عبد الحميد،
القاهرة، مصر، 1377هـ.

اليواقيت في بعض المواقيت في مدح الشيخ وذمه، الثعالبي، حققه محمد
جاسم الحديثي، بغداد، 1990.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

Zade Safare AL-Mulok

زادِ سفرِ الملوك

تأليف الأستاذ

أبي منصور عبد الملك ابن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري رحمه الله عليه

في السفر ومدحه وصفته ومخاسن الأخلاق فيه

تتبع

هلال علي بن ناجي

رئيس اتحاد المؤلفين والمُطابعين العراقيين (سابقاً)

عضو مراسل بجمع اللغة العربية بدمشق

الحائز على جائزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في دمشق

المجلدات

دارت حياة أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي بين مدن سبع لم يعدها إلى سواها. في الأعم الأرجح.

أولاًها: نيسابور وبها ولد سنة (350هـ) لأب كان يحترف تجارة جلود الثعالب فُنُسِبَ إليها. وهي مهنة مرموقة في المناطق الباردة. مثل نيسابور وما صاقبها.

وقد وهم من ظن أن الثعالبي كان يحترف هذه المهنة. والصواب أنها مهنة أبيه.

كما وهم من ذهب إلى أنه ولد في أسرة ضعيفة الحال رقيقة. فبين يدينا نص من شعره يؤكد أنه ورث عن أبيه وأمه ضياعاً عديدة لكنه أثلّفها في الحوادث. وفي طلب العلم والأدب.

الثعالبي إذن ولد في أسرة موسرة. وورث عنها المال والضياع العامرة. لكنه أضاع كثيراً مما يملك في مطالب الحياة التي ذكرها ونوبها. ومركز أسرته الرفيع هذا يشرّ له الولوج في مجتمع السراة والحاكمين فيما بعد.

ولقد حرص أبوه على تأديبه منذ الصغر في كتابات نيسابور. فكان من بين مؤدبيه في أيام صباه. رجل أديب حبّب إليه الأدب والشعر. فمما أنشده هذا المؤدّب لتلميذه في ذم الكتب والدفاتر وامتنادح الحفظ. والحضّ على استيعاب العلم في الصدور.

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هاتف: ٩١٦ ٩١٦٥٥٥
فاكس: ٩١٦ ٩١٦٠٥٥
مطبعة خلاوة
Halawa
Printing Press



9 789957 702991



مطبعة الكتاب العالمي للنشر والتوزيع
إردن - العقبة/مقابل عمارة وزارة الصحة



Modern Book World
للنشر والتوزيع

إربيد - شارع الجامعة - بجانب البنك الإسلامي
تلفون: ٠٠٩٢ ٢٢٢٢٢٧٢ - فاكس: ٠٠٩٢ ٢٢٢٢٢٧٢
الرمزي البريدي: (٢١١٠٠)

البريد الإلكتروني: almalakot@yahoo.com
almalakot@hotmail.com
almalakot@gmail.com
www.almalkotob.com